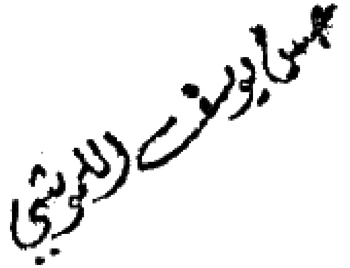
لجين هويدي

غُربَة

رواية



الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE



غُربَة

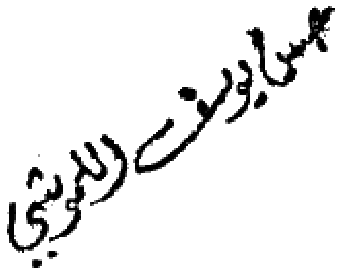
رواية

لجين هويدي

غُربَة

رواية

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE



لجين هويدي

غُربة - رواية

الطبعة الأولى : 2018 م

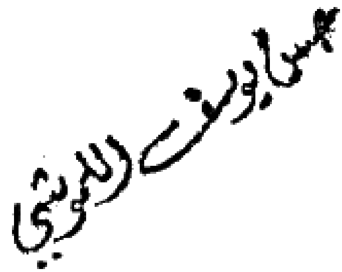
رقم الإيداع المحلي: 2018/275

رقم الإيداع الدولي: 0-642-11-9789959

دار الكـتـب الـوطـنـيـة بـنغازي - لـيبيـا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

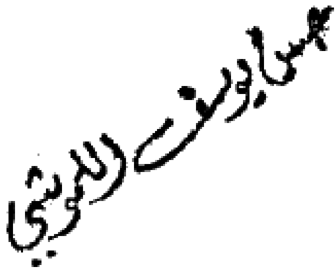


إهداء

إلى كلّ الشخصيات. إلى نهلة نفسها

إلى كلّ الدعم الذي احتوى موهبتي وشجّعها. .

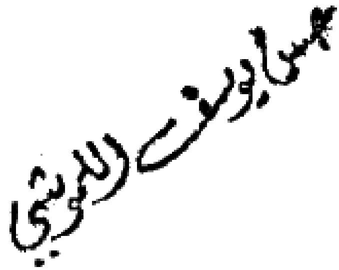
تحيّة منّ لُجين لكلّ القرّاء والداعمين

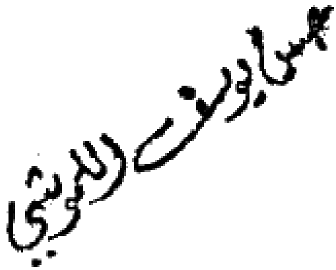


ملاحظة

ما تحكيه روايتي " غُربة " ما هي إلا واقع قصة لفتاة ما، لا أعلم إن كانت ستقرأ قصتها بأسلوبي لا أعلم إن كان صوتي سيصلها ولكن أمل ذلك وبشدّة.

كل الشخصيات أيضا واقعية، ومنهم شخصيتي ولكنها مبعثرة بين السّداسي . وإن وقع هذا الكتاب بأيدي إحدى الشخصيات، ستبتسم بالتأكيد لأنها مركونة على رفٍّ مَا.





يقول المتنبي:

أَلَمٌ أَلَمَّ أُلِمَّ بِدَائِهِ.. إِنْ آنَ آنٌ آنَ آنُ أَوَانِهِ

بمعنى:- وجعٌ أحاط بي لم أعلم بمرض !

إذا توجّع صاحب الألم حان وقت شفاءه

لذلك يقال عن اللغة العربية بأنها بحر

●●●

كان صوت الرعد من أيقظني ذاك الصباح..

لا زلت أذكر ذلك المساء كأنه الأمس.. سمعت وقع أقدام بالمر.. أخفيت وجهي بالغطاء حتى لا يلمح أحد أثر الدموع على وجنتي.. كان الوقت باكراً جدا 6:00 صباحا يوم الأحد

■ ألم تستيقظِ بعد !! انهضِ إنها السابعة

■ لمَ الكذب إنها على وشك السادسة والنصف

■ يكفيك كلام.. استعدّي للمدرسة نهضت من الفراش بحركات متزعزعة.. بالكاد استطعت الحركة من الصداع الحاد الذي يواجهني منذ الليلة الماضية بسبب البكاء.

ذهبت للمدرسة جسد بلا روح.. وكأن روحي لم تنتقل مع جسدي، خرجت من غرفتي بدونها، شردت كثيرا يومها،، اخذني التفكير بعيدا جدا عن الحصص.. أحداث الليلة الماضية كانت بالنسبة لي فاجعة.. لم يكن لي ذنب لا أعلم حتى لماذا تخلوا عني، رفيقات دربي لأكثر من 8 سنوات.. يا رب!

لم ألحظ ان جرس الحصة قد ضُرب.. إلى أن قاطع شرودي صوت معلمتي

■ نهلة ! أريدكِ خارج الفصل

ماذا.. يا إلهي لقد لاحظت الحالة التي انا عليها.. أرجوكِ لا تسأليني.. خرجت في خطوات قد ظهر عليها التوتر والقلق أُطقطق براجمي

■ ما الخطب؟؟ أكل شيء بالبيت على ما يرام؟

■ نعم ! كل شيء على أفضل حال ، ، ورسمت على شفتاي

ابتسامة زائفة

■ حسنا ولكن ما بك اليوم شاردة البال !

■ لا شيء فقط أفكر في رواية تافهة أقرأها

■ حسنا.. انتبه إلى نفسك جيدا

ذهبت ولم تسألني مجدّداً،، هي تعلم أنني أكذب ولكنها لم ترد ان تتدخل في شيء لا يعنيها دخلت مجددا للفصل رأيتهم يتسامرون ويضحكون.. كنت أضحك معهن فيما مضى.. رمقوا نظراتي إليهم ونظروا إليّ باستهزاء وسخرية.. تابعت خطواتي عند دخول الأستاذ ليلقي الدرس.

بالكاد انتهى هذا اليوم الكئيب.. دخلت غرفتي وجلست أفكر لثواني.. ولمَ الزعل يا نهلة؟؟ لربما يرحل الكثير ولكن الحياة مستمرة.. فالحياة سفينة وانا القبطان.. أستمر في رحلتي مهما توقف الركاب وغادروا. وإن جاء وقت مغادرتي لهذه السفينة ،، فستكون الى محطتي الأخيرة..

استمعت للأغاني وربطت حزامي ورقصت.. انتقمت من غضبي في الرقص.. وكأن لا تشغلني شاغله.. من ذهب سيعود يوما. ارقصِ يا نهلة لا أحد يستحق

■ نهلة ما خطبك؟؟

■ ماذا ؟! ألا يسمح بالرقص في هذا البيت الكئيب

■ حسنا يا حبيبتي لم الأعصاب

■ هكذا حالتي، عليكِ أن تعتاديها من الأن

دهشت والدتي من ردي.. وكأن التي أمامها فتاة أخرى

غير نهلة.. الطّيبة البريئة المطيعة

لقد تغيرت يا أمي.. تغيرت كثيرا.

أصبحت أيامي متشابهة.. روتين بطئ ممل لا أغيّر به شيئا أو لم أستطع أن أغيّر به شيئا وكأنني رجل مقعد أراد المشي على قدميه ولكن شلله أعجزه،، هذه حالتي اريد التقدم ولكن اريد مساعدة أريد من يأخذ بيدي ويرشدني..

بعد رحيل صديقاتي من حياتي.. وما هي الا مفاجأة.. لم أعد اثق بأحد.. و لم يطلب احد الثقة لم أعد ادري كيف علي ان اعالج نفسي وكسري، لم اتصف بشخصية قوية حتى استطع نسيانهن أو أن اعالج نفسي بنفسي.

حضرت والدتي بعد خروجها للتسوق مع ابنة خالتي.. ظنا منها انها ستساعدني على الخروج من هذه الحالة التي اطّرقت لها مؤخرا.. كانت كثيرة الكلام تثرثر ولا تعلم للهدوء والسكينة طريق.

■ نهلة فعلا انك مختلفة كثيرا ، ، ما الذي يجري بالضبط؟

ناظرتني بارتباك ترتقب أول حركة من شفتاي لتلتقطها وتكتشف السر الذي استمررت في إخفائه.. أجل يجري الكثير والكثير بداخلي ولكن السر الذي أخفيه، طلب البوح لاحد. تمنيت نعمة البوح ولكنّي لا أملكها.. وليست لي القدرة على تملّكها .

■ لا.. لا شيء فقط اضطراب من المذاكرة أحتاج إلى بعض الراحة

تجولت عيناي في كل مكان إلا عيناها.. لن ألقاها لأنها

ستكون قد كشفت السر ، ،

"حسنا " نهضت وتأكدت من عدم وجود احد امام الغرفة وبالممر ثم أغلقت باب الغرفة جيدا وجلست بقربي مرة اخرى قائلة :

■ لن أدعك هكذا.. أعدك بأن لا أخبر أحد عما يجري

ظللت صامتة لم أجبها بشيء يفيد فضولها إلى أن أكملت واستطردت تابعة:

■ أرجوك

■ حسنا ولكن لكي اتكلم هناك شرط

■ وما هو الشرط ؟

■ إن أفشيتِ لأحد بالسر.. تاللّه لأنتزعك من على وَجه الأرض كالإصطفلينة

ضحكت ووافقت ثم عمّ على هذه الثرثرة الهدوء لتستمعَ إلي جيدا

■ منذ ليلتين تقريباً.. حدث سوء تفاهم بيني وبين صديقاتي والآن لم نعد مثلما كنا أصدقاء فلقد نبذوني من مجموعتهن

■ حقا؟ أهذا ما يزعجك؟

■ أجل هه!!

■ لا تقلقِ سوف تجدين من يقدرك

■ ان شاء اللّه

ولم يستمر أسبوع واحد حتى دخلت المدرسة الجديدة بعد أن طلبت من والدتي نقلي للمدرسة المجاورة لنا والتقيت

بفتيات أخريات. .

لم يكن كثيرات ولكن جيدات كبداية.. اثنتان فقط

●●●

في كل فصل في هذه المدرسة.. مجموعة من الفتيات ليس لهن عدد محدد يختلفن من فصل لأخر.. ولكن كل مجموعة كانت لها الأفضلية عن الجميع.. ظنا منهن انهن افضل من باقي الفتيات وليس كل من في الفصل لديه الجـرأة على أن يتكلم معهن أو حتى يلقي تحية بسيطة وإلا لقيَ حتفه معهن، ظنوا انهن الأجمل والأذكى والأرقى والأغنى.. مسكينات هن يظنون أن المظهر كل شيء.

في اعتقادهن أن الجميع يريد أن يصبح مثلهن ولكن الجميع يكرههن.. وصديقتاي الجديدتان كانتا أعداء لهذه المجموعة ف بالتالي أنا أيضا من الأعداء.. لم يكفّوا عن مضايقتي.. ولكن كل المضايقات التي تلقيتها كانت تلميحا على ترك صديقتاي وترحيبا لي بينهن.

ولكنني لم أجرأ على الحكم الأخير بعد. فإن أصرحت بهذا الحكم من الممكن ان يستهزؤوا بي أكثر وأتحوّل قصة للأخريات..

لا أقول أن كيلي لم يطفح من إزعاجهن ولكن ما بيدي حيلة.. استمروا في هذه المناوشات الخفيفة الخفية حتى جرى ما لم يكن في الحسبان.

خرجت من الفصل أريد شرب بعض الماء فاتجهت لثلاجات الماء بالممر.. شربت بعض الماء إلى أن جاءت إحداهن وقد

ضربتني على مؤخرة رأسي حتى احتك جبيني بالصنبور

■ ماذا هناك ؟

■ بكل بساطة يزعجنا وجودك معهن كثيرا

■ ولماذا تهتمون بوجودي معهن ؟

■ لا نهتم لوجودك ولكن نهتم بمن يحاذيهن

■ ولماذا !!

■ لا تكوني فضولية كثيرا.. اسمعيني جيدا نحن لا نريد مُعاداتك.. جُلّ ما نريده هو انضمامك إلينا وأن تكوني مع الطبقة التي تستحقينها..

■ ولكن ما الخطب معهن.. لسن سيئات لهذه الدرجة!

■ فقط حاولي ان تتفاديهن اليوم واجلسي معنا وسنخبرك

■ حسنا إذا لنا لقاء

عدت للفصل بعد مخاطبتي لها.. لم أتردد ثانية لأقابلهن.. فهن محط أنظار الكثير وأريد أن أكون مثلهن.. ولما لا؟ ربما أنا أفضل من صديقتاي فعلا أو ربما هن لا يناسِبنني أبدا.. سأكتشف كل شيء بعد قليل لمَ هذا التفكير الصاخب.

●●●

أخيرا رن الجرس معلنا عن إنتهاء الحصص و ابتداء وقت الفسحة خرجت أبحث عنهن.. لم أجدهن حتى اقتربت مني إحداهن وطلبت مني أن أتبعها.. سرنا جنبا إلى جنب حتى ابتعدت عن الساحة فقلت منبهه لها أننا ابتعدنا ودخلنا في منطقة من المدرسة يجب الا ندخلها فابتسمت في برود قائلة

■ لا عليك.. لمَ أنتِ خائفة هكذا.. لن نأكلك لسنا زومبي.. للآن!

وابتسمت ابتسامة باردة صاحبتها نظرة حادة

●●●

اجتمعوا على رصيف الفناء الخلفي للمدرسة يضحكون حتى ظهر لهم ظلي فصمتوا..

■ اهلا بكِ بيننا

■ شكرا.. اعتذر ولكن انا فضولية جدا وأريد منكن ان تدخلن في صلب الموضوع

اطلقن ضحكة طويلة عالية ثم قالت الأعلى منصبا بينهن

■ تعنين عن رفيقاتك الجُدد؟

أومأتِ رأسي إيجابا ثم تابعت هي قائلة:

■ ألم تعلمي بحقيقة صديقاتك بعد ؟؟ ما رأيكن يا بنات.. أأخبرها؟

تكلمت اخرى " من حقها أن تعرف "

■ حسنا حسنا.. سأخبرك.. هاتين الفتاتين ليستا بفتاتين تحسدين على رفقتهن فهن على عكسك تماما وليسوا على درجة من الوقار والاحترام مثلك او مثلنا.. وبنظري انك تستحقين صديقات جيدات مثلنا وأننا نحن أيضا نستحق صديقة جيدة مثلك.. فما رأيك بالانضمام معنا؟

■ ولكن. .

■ إسمعي جيدا.. لا داعي للقلق على نفسك معنا.. فنحن

غنيات عن التعريف هنا.. على كلٍ غدا أطلعينا على ردك.. فلننصرف الأن

وقفوا وتابعو السير دون ان يكلفوا أنفسهم عناء الوداع

" ستوافق حتما.. وستسير الخطة كما يجب "

●●●

لم يكن بوسعي الرفض ، ، ولكن لقد شُغل ذهني بكلماتها "ليستا بفتاتين تحسدين على رفقتهن" لماذا تقول هكذا عنهن وهي لا تفقه عنهن شيء. .وإن وافقت.. ماذا سأقول لهن.. فهن حسنات السلوك معِي ولم أرى منهن أي شـر.. يا لهذا الموقف يا ترى إن كانت سونيا ■ إبنة خالتي ■ في هذا الموقف، ماذا ستفعل ياترى؟ توافق وتتخلى عن اول سندٍ لها بمدرستها الجديدة او ترفض تاركة افضل الفرص لحياتها تضيع.. تزاحمت الأفكار بداخل عقلي الصغير.. تطورت الأفكار الى صداع خفيف ، ، أويت للفراش هروبا منه وقد أخذت قراري الأخير..

نعم سأوافق !! أريد خوض تجربة معهن واضحكن برفقتهن قد يكون موقف ليس بجميل مبادرته مني.. وقد يكون هناك غرابة في تفكيري.. بدايةً ذممت رفقتهن والآن أوافق.. ولكن المعروف عني أنني أحب خوض المغامرات كثيرا ، ، وهن بالنسبة لي مغامرة مليئة بالأسرار.. أتأسف لكنّ يا سندِ !

استيقظت بحماس ونشاط فقط لعلمي ان فصلٌ جديد من حياتي على قيد البدء.. دخلت من باب المدرسة بطاقة وحيوية كبيرة أبحث عنهن ولكن لا أجدهن، حسنا لا داعي

للقلق فقط عليّ التحلّي بالصبر!

بدأت الحصة الأولى ولم تحضر أيّ واحدة منهن.. يا لهذا التلاعب المحترف بالأعصاب لم يحضرن.. خمس فتيات تغبن فقط ليتلاعبن بأعصابي.. يا لدهائهن!

لم يكن انتهاء هذا اليوم سريعا بسرعة انهيار أعصابي.. تلاعبوا بي.. ملاعين !!

لا يمكن أن يزداد هذا اليوم سوءاً.. أليس كذلك ؟!

رنّ جرس المدرسة معلناً نهاية الدوام ، ، تأخر علي والدي كثيراً.. جلست على درج باب الفناء الأمامي للمدرسة.. مللت انتظاره لقد نسيَ أمري تماما.. لا يهم سأسير للبيت إذا

وما إن دخلت الشارع.. حتى رأيت ازدحام شديد.. اقتربت أكثر وجدتهم ينصبون خيمة كبيرة أمام بيتنا.. ماذا يفعلون.. رأيت رجالا كثيرين لا أعرفهم حاولت السؤال عن الذي يجري هنا ولكن لم أتحصل على رد أحد منهم..

دخلت بالبيت وإذ به يضج بالنساء.. يتحركون بسرعة واخريات جالسات في هدوء ودموع..

ما الذي يجري هنا ؟؟ بدون معرفتي للسبب امتلأت عيناي بالدموع فحسب.. انقبض قلبي وزاد في نبضاته.. قلّ تنفسي.. صعدت مسرعة لغرفتي لأتجنبهن وأبرهن لنفسي أن لا علاقة لنا – انا وامي وابي – بهن. .

دخلت الغرفة و بكل ما أوتيت من قوة أقفلت الباب.. أتنفس بسرعة ودوار يجذبني للأرض.. قلة توازن ونبضات ثائرة.. قاطع ذهولي طرقات على باب الغرفة..

■ نهلة أنتِ بالداخل ؟؟

فُتِح الباب ورأيت وجه سونيا يخترقه.. كانت على ملامح وجهها الحزن

■ سونيا.. ما الذي يجري خارج البيت ؟

دهشت سونيا بسؤالي.. لم تكن تعلم أنني أجهل الحادثة حتى الأن.. لم ترد هي إخباري.. ظنت أنني أعلم وجاءت لتهوّن عليّ الموقف

■ ألم تعلمي بعد!

■ أعلم ماذا ؟؟ ماذا هنالك؟

انعقد لسانها واقتربت مني ومسحت على رأسي قائلة

■ حبيبتي نهلة.. تعلمين اننا جميعا نحبك.. انا وأمي وأبي نعاملك كأنك واحدة منا

■ ما علاقة هذا الكلام بالذي يجري خارجا.. أريد تفسيرا الأن!!

■ اللّه العالم بأن فراقه محزن لي أنا ايضا.. لق. لقد.. والدك لقد توفّاه اللّه

لم أحتمل صراع الجاذبية وقعت أرضا ابكي بكاء حادّا.. والدي! رحل وتركني وحيدة.. ألهذا تأخر اليوم عني بالمدرسة.. أيعقل أن الضجة التي بالمنزل السفلي بسبب هذا الخبر؟؟ أيعقل حقا أن سونيا تقول الحقيقة.. أي حقيقة هذه التي تمنعني من رؤية والدي مجدداً. سامحني يا أبي لم أفقه يوماً ان فراقك ممكنا.. أعتذر منك على كل كلمة أخطأت بها

بحقك.. ظننت أنك نسيتني اليوم.. أخطأت بحقك. .

●●●

لم يوقف أفكاري ودموعي ووقوعي على الأرض إلا دخول بعض النساء لغرفتي حاولن مساعدتي على الوقوف مجددا.. أيعقل أن أقف مجددا بعد أن سقطت.. أيعقل أن أقف بعد مغادرة والدي لحياتي نهائيا.. كان دائما سنداً لي وصديقا.. أيعقل ان الحياة بدونه يمكنها أن تستمر

■ حبيبتي نهلة انهض لا تفعلي هذا بنفسك

شعرت باختناق وانسداد برقبتي.. قلة أوكسجين وكثرة انقباضات.. بالكاد تغلبت عن أحبالي الصوتية وأخرجت صوتا مختنق وكأنه قطعة أثاث دُفنت بالغبار

■ أخرجوا.. دعوني وحدي

■ اذهبي يا سونيا وأحضري بعض الماء. بسرعة !

■ قلت أخرجوا جميعكم.. كاذبات.. أريد والدي، أريد والدي

لم أتوقف عن الصراخ إلا حين أحسست أنني بين أحضاني والدتي.. بدأت تخير قواي ويضعف صوتي تاركا لأصواتهم حرية التعليق

جملتين أرددهم.. يضعف فيهم صوتي اكثر فأكثر " أريد والدي ".. اغمضت عيناي

■ يا لها من مسكينة فقدت والدها

■ فلنتركها لترتاح الأن.. لنذهب للتأكد من تركيبهم للخيمة بطريقة أسرع

خارت قواي وأخذت الكوابيس تتلاعب بنقاط ضعفي الجديدة " فراق والدي "

بكيت روحي بالعالم الأخر.. إنما جسدي الذي كان ملقى على السرير لم يتحرك به ساكنا

●●●

عند استيقاظي أوقعت قدماي ورفعت جسدي بصعوبة.. نزلت على الدرج ببطء.. متأمّلة على كل دُرجه من الدرج أنه مجرد كابوس ذهب لحال سبيله.. متأمّلة أن عند وصولي للمنزل السفلي أجد البيت قد أصابه الفضاء والهدوء.. ولكنها مجرد أمنية.. رمقني الكل بنظرة شفقة.. نظرة مزرية مني كانت كافية للرد على شفقتهم.

تغيبت عن المدرسة باليوم التالي.. واياما أخرى لم أستطع بعد أن أواجه الناس وأن أتقبل التعازي.. لست بهذه القوى للأن..

حقا أمر النساء غريب.. يشربون الشاي ويأكلن الكيك ويضحكن وينسين السبب الرئيسي لحضورهن.. يأخذن مساحه فقط ويجلسن وكأن الميت لا يعنيهن.. فعلا هكذا هي الحالة.. فقط أود قتلهن جميعا انتقاما لفراق والدي وجثّته التي لم تدخل قبرها بعد..

جاء وقت مقابلة الجثة.. منذ معرفتي للخبر ومنذ أن خارت قواي لم أنطق ولو بحرف.. لازلت تحت تأثير الصدمة.. لم أستفسر عن السبب إذ كان من جرّاء حادث سير أو غيره. .

إلى أن رأيت جثته أمامي.. لا تتنفس ولا تنبض.. لم أستفق

أو بالأحرى لم أصدق الخبر إلى أن رأيت جثة والدي هامده ملقاة على فراش مغطاة بقماش أبيض لا تتحرك.. اتكأت على صدره الذي لطالما كان حنون ورَحِب حين أرمتي عليه.. كان يمسكني جيدا بيديه الاثنان مؤخراً.. وكأن قد راوده إحساس بأننا لن نتقابل ثانية إلا في يوم الحساب.. جاهلين من نكون وما نعني لبعضنا البعض.. بكيت بحرقة رجوته ان لا يذهب ولكنه لم يستجب ولم يمسح دمعتي كعادته.. أخذت يده بين يدي أطلب منها أن تعطيني أخر حضن.. أخر إحساس بالدنيا.. ولكنها لم تستجب.. أحقا خسرتك يا ولدي !

ألن أراك مجدداً؟ ألن نلعب مجدداً كما كنت على عهد طفولتي؟.. أقسم أنني سأعود نهلة إن عدت أنت أبي النابض..

لكنه لم يستجب.. كنت ابكي وأتكلم بخنقة وبصوت محشرج وأنا على صدره وحين رفعت وجهي المبتل بالدموع ودفعت عيناي الغارقتان بالحزن لأرى وجهه وأحفظ ملامحه الأخيرة. .

ولكنها لم تكن الملامح المطلوب حفظها لأخر العمر في الذاكرة.. كان وجهه أزرق غامق وكأنه كان تحت تأثير فقد الأكسجين.. رفعت رأسي لأرى والدتي وسألتها

■ كيف حدث الذي حدث ؟

نظرت إلي بعيون بها الكثير والكثير من الحروف.. ولكن فمٌ لم يكن باستطاعته الحركة والنطق..

لم أردد سؤالي.. عدت لأحفظ ملامح أبي.. رحمك الله !

●●●

انتظرت حتى فُكّت عقدة لسان والدتي.. ولم أدّخر وقتا لسؤالها.. بسرعه البرق كررت سؤالي

■ كيف حدث الذي حدث ؟

■ والدك كان يعاني من مرض الخبيث.. لم نرد إخبارك.. أخبرني أنه وجد العلاج في الخارج وسيتعافى سريعا في مشفى خاص.. ولكنه فقط أرادني أن أرتاح وأن لا أشغل بالي عليه.. أنا آسفة

بدأت بالبكاء.. انهارت ولأول مرة أمامي.. حاولت التماسك. ..

فراق والدي سيصنع بحياتنا معاً فراغ كبير.. ولكن الحياة ستستمر.. فلمَ نعيش حزناء وبيدنا السعادة.. لما نعصب الأعين عن السعادة.. لا أقول أن فراقه سهل.. ولكن لو كان هنا ويراقبنا ' لطلب منا الاستمرار والتقدم.

●●●

بعد ثلاث أيام من الغياب.. ظهرتُ مجددا.. قابلية التعزية ازدادت.. كلمة " رحمة الله على والدك " لم تعد غريبة على مسامعي.

قابَلنني المعلمات والطالبات باحر التعازي.. ولم يكن جوابي إلا ابتسامة باردة أكسب بها فضولهن على قوّتي بدل شفقتهن..

تقدم الخماسي تجاهي معلنين العزاء.. ولم يلبثوا إلى أن طلبوا مني الجواب فوافقت دون نزاع

ابتدأت حياتي الجديدة بلون مختلف. أصبحت اليتيمة

بطلة القصص، ولكنني لست البطلة بقصتي. .

اصبحنا نجلس بنفس المقاعد والصفوف.. ونتسامر الحديث.. تكلمن كثيرا عن قصصهن وهمومهن.. أمّنوني كثيرا على أشيائهن.. وأنا لم أؤمنهن على شيء رغما من أنه ليس هناك شيء لأخفيه.

لم يكنّ سيئات.. بدأن يتكلمن عن الحب والمغامرات وكلام أصدقائهن ، ، وخرجاتهن.

نهاد.. قصة حب عجيبة مع يامن الذي يكبرها بحوالي 16 عاما..

نهال.. لم تهتم بشيء ولكنها حاولت التقرب من ابن عمها الذي لا زلت أجهل قصتها معه للأن.

نورهان.. التي صادقت شادي لسنة كاملة وأحبته من طرف واحد.. او يمكننا القول أنها لم تصارحه بعد لتعلم شعوره تجاهها. .

نوران.. وحُسين الذي لا نعلم إن كان يحبها حب حقيقيّ أم حب شهوة

وأخيرا وليس آخراً.. تقريبا أحسنهن حالا في الحب.. بلقيس وعلاقتها الطويلة مع عمر..

جميعهن أحببن وتحاببن.. وجدو أشخاصا يهتمون بهن.. وأنا لازلت على حالي " وحيدة "

●●●

كان هذا النهار مختلفا.. لقد مضى شهر كامل على فراق

والـدي.. تحسنت من الخـارج ولكن من الـداخل لازلـت أفقد حيوية الألوان.. أشعر بلون الدم غامق.. لم يعد أحمر مثلما كان. .

شعرت بكل شيء من حولي تنسحب منه حيويته وألوانه. أشعة الشمس لم تعد تدخل فتضئ غرفتي بعد الآن.. ولم يعد لأثـاث منزلنا نفس ألوانه و نفس الطرب القديم الـذي كنت أشهده عندما كنا أسرة صغيرة بسيطة.. ولكن لا ردّ لقضاء ربي.. الحمدلله على كل حال !

أخذ شرودي يبتعد دائما بالتفكير بوالدي.. ونسيت أمر والدتي.. لم أكن أتفقدها كثيرا أو أتكلم معها مؤخرا.. فقد كان الحزن يكسوها جيداً، لم أرد أن أزعجها أو أن أخرجها من عزلتها التي توطدت مؤخراً مع المصلية والمسابيح ولكنني حاولت الاعتناء بها كثيرا.. لم أدخر أي جهد لمساعدتها رغماً من أنني أنا التي تحتاج هذه المساعدة.

ذهبت المدرسة في هدوء تام.. لا أريد إيقاظها.. لن تستيقظ على كل حال فلقد نسيت امري كلياً. لم تعد تتفقدني أو تسأل عن حالي ومدرستي ويومي الحافل.. ولكن لا بأس !

دخلت من باب المدرسة وقابلنني الخماسي..

■ نهلة. أخبرناك بكل شيء عنا ولكنك لم تخبرينا بشيء، سألتني نورهان

■ وما عساي أن أخبركن.. ليس لدي ما يُحكى لتسليتكن

■ ألم تجربي الحب بعد !

■ لا.. ولم أريد التجربة.. لا أصدق بهذه الترهات ولكنني

تلذذها على السنتكن

■ وإن أتينا لك بالحبيب.. ستوافقين ؟

■ لا أدري.. لم أفكر

■ حسنا إذا فكري جيدا وأطلعينا على ردك

وأكملن حديثهن المشترك.. وأكملت أنا شرودي.. أيمكن أن أقع في الحب ! أليس من الصعب أن تحب أم أن الحب فطرة ؟

أيحب القلب قبل العين أم العين قبل القلب ؟.. لا أعـرف.. ولكن جلّ ما أعرفه هو الوجع الموالي للحب.. والغيرة المصاحبة له

لما أحب ؟؟ لأفرح قليلا و أتعذب كثيراً.. أتعذب إن لم يهتم أو إن نظر لأخرى أو إن كذب أو إن لم يقل كلمة كنت أنتظر سماعها.. سأحب عندما أصبح كاملة عقل. النساء جميعهن ناقصات عقول. ولماذا؟

ليحببن جنس آدم.. وآدم ينتهز كل فرصة ليهين بها حواء.. علاقة سخيفة لا أؤمن حتى بوجودها.. أمن المتوقع أن أحب أحـداً مثلما أحببت والـدي.. وإن رحل مثل والـدي؟ أأعاني مجددا نفس المعاناة ؟؟

ولما كلّ هـذا.. معـاناة فقـدان والـدي لـم يكن لـدي حيلة لإنهائها فهو والدي.. ولكن هو. انا من أدخلته حياتي وبإمكاني إخراجه. فلمَ أدخله وهو راحل؟

سؤال فقط عن الحب أبعدني كثيرا عنهن وعن الواقع..

●●●

■ سونيا. .

■ همم

■ بإمكاني سؤالك ؟!

■ نعم

ساد عليّ الصمت.. أو بالأحرى الخجل.. قالت هي بفضول

■ ماذا هنالك ؟

رتّبت حروفي ثم قلت

■ أوقعتني بالحب مسبقا ؟

■ ولما هذا السؤال ؟

■ يمكنك أن تقولي أنه فقط.. سؤال

سرحت كثيراً وكأنها تستعرض شريط ذكرياتها.. لم أتنبأ إن كانت حزينة وبها قطرات دموع أم جميلة بها ضحكات كثيرة

■ سونيا !! أين شاردتي بذهنك ؟

■ همه! لا شيء.. نعم وقعت به

■ حقا، أخبريني كل شيء إذا

■ قبل هذا.. لماذا كان سؤالك " أوقعتني في الحب " ولم يكن " أحبتي يوما؟ "

■ لا أدري.. أعتقد لأن هذا السؤال المتداول بين العامة

■ أخبرك لماذا.. الحب مطب ضخم والحبيب أعمى.. في أحسن الأحوال يكون الحب مطب ففي بعض الأحوال يكون الحب خندقاً عميقاً لا نهاية موشكة له

■ وكيف كان حبك..

لبثت هادئة لا تنطق لبعض الوقت، فاستطردت

■ أسفه ولكن لم أقصد إنهاء قصتك ، ، كيف حبك ؟

■ لا بأس.. قصتي كأغلب القصص.. ولكنها كانت متاهة.. تارةً حب وتارةً كره.. لن أنساه أبدا.. إذا نسيته لحظة.. أتذكره عمر

بدأت عيناها باللمعان.. اقتربت لأحتضنها فقالت

■ لا أحتاج لحضن.. لا أحب أن أُشعِر أحد بضعفي

■ ليس ضعف.. أعتذر لك

■ لا داعي.. ما علينا من هذا فلندخل صلب الموضوع

■ " كانت قصة تقليدية مثلما قلت.. رآني يوما عندما كنت بسنك في المدرسة.. أحبته روحي وقلبي قبل عيناي أحببته لروحه وشخصيته قبل مظهره وماله.

ظللنا معا حتى الجامعة.. كان يكبرني بثلاث سنوات.. كان فلسطيني ولكنه كان مولود هنا.. صدمت أنا أيضا حين معرفتي ببلده.. لم يكن يختلف كثيرا عنا مظهرا ونطقاً.. ما صده بعيدا هو شيء ما يدعى " النصيب ".. دعيني أخبرك عنه القليل، أحد وسائل قتل الحب في مجتمعنا في حالة كان الحب صادقاً قاصد الحلال.. قتل النصيب حبنا علناً ولكننا نبذل جهداً حتى لا يموت بداخلنا.. لعلّ وعسى تقبله خالتك.. لو تعلمين فقط كيف كانت جميلة لحظة طلبه ليدي من والدي.. ولكن بقدر جمالها ساواها رفضهم له بسبب جنسيته وانتماءه لفلسطين خوفا منهم أن يأخذني معه لفلسطين.. يبحثون عن الرجل وهو كان الرجل في انتماءه لوطنه.. فكيف يرفضونه

لرجولته.. أيظنونها ظاهرة.. أم مفرطة !

كانت لحظة كالموت.. لحظة رفضه وعلمه بخبر الرفض.. كانت تساوي لحظة خطبته لي ولكن بالألم والبأس بدلا عن الحب والفرح.. ألمٌ غريب احتل قلبي ولم يفارقه.

اعدم حب في مجتمعنا بسبب انتماء.. سخافة ! "

■ " أتعلمين أنهم على حق !! " أطردت قائلة

نظرت لي بنظرة قاتلة.. تملكني الخوف حينها.. تأكدت من قولي.. فلم يكن بالسيء

■ " كيف تسمحين لنفسك بهذا ؟؟.. لم تتجرعي ألم الحب بعد لتنصتي لدقات قلبك المهترئة !

موجعه أكثر من كونها دقات.. وكأنها في كل دقة تبث لكِ حياة يائسة بائسة لا بقاء لأملٍ فيها." أجابتني

●●●

لم أجرب قبل ألم الحب.. معها الحق.. كيف يكون؟ أنحب الشخص بعقولنا أم قلوبنا.. كيف يكون إحساسنا بالحب. أيتغير شيء بداخلنا مثلا!

كانت سونيا مكتئبة أثناء روايتها لقصتها.. لطالما اقتنعت بمقولة لـ سيغموند_فرويد:

" الاكتئاب ليس علامة ضعف، بل هو إشارة إلى محاولتك أن تكون قويًا لفترة طويلة جدًا"

جاهدت كثيراً بالتأكيد لتظهر أمامي بهذه الحالة.. لتحارب كل المشاعر بداخلها كي لا تُظهر ضعفها أمامي.. ومع هذا

ضعفت وانهزمت معلنة لمشاعرها الانتصار.

ظللت كثيراً أفكر بها.. شـردت بقصتها.. إن كانت قصتي أنـا.. أحببت شخصا ووفـى بوعده ورفضه والـدي.. لحظة أيّ والد ؟! ههه.. حسنا حسنا رفضته والدتي ما هو الشعور الذي سأشعر به حينها؟ بالتأكيد ليس بشيء يحسد عليه. سونيا رغم قوتها وقوة شخصيتها ضَعُفَتْ فما بالُكِ أنتِ يا نهلة

●●●

كانت الفسحة حينما سَألتُ بلقيس

■ أتعتقدين أن عمر سيتقدم لخطبتك يوما ما !!

■ أجل.. ولماذا يحبني كل هذا الحب إن لم يكن باستطاعته اختتامه بشيء جميل يجمعنا للأبد

■ حسنا.. سؤال آخر

■ تفضلي ؟

■ إن كانت لديك حقيبة من الحلوة.. وطلب منك عمر حلوة.. ماذا ستفعلين ؟

■ سأعطيه الحقيبة كاملة بالتأكيد !

■ لإجابتك وجهان.. جيد وسيء

■ انطلقي بالسيء

■ السيء هو إن هذه الحقيبة هي قلبك.. لقد سلّمت قلبك كاملا لعمر رغماً من أنكِ لا تعلمين مقدار الوفاء الذي يكنه لكِ

حضرن الفتيات سامعات لم ينبئن بحرف واحد .

■ لا أقول أن هذا ليس بصحيح ، ، ولكنه صحيح فقط إن كان حقا صادق الحب والنية معك

■ حسنا.. وما الجانب الجيد ؟

■ هذا ما قلته منذ قليل.. سيكون قرارك صحيح ﰲ حالة صداق الحب والنية اتجاهك.. ومن ناحيتك.. يكون وفاء وحب صادق اتجاهه

■ حسنا لست أفهم كلا الوجهين. !.

قاطعت نورهان قائلة " ليس هناك شيء بالحياة يدعى حب فلمَ الكذب.. علاقتي بشادي أكبر دليل.."

■ حقا ، وعلاقتي أنا بعمر أكبر دليل أيضا على الحب

■ تنعتيه بالحب! أأحضر لكِ شيئا بدون مناسبة ! أم سأل عنك ﰲ وقت مرضك.. لمَ الكذب جميعنا نعرف حقيقة هذه العلاقة ، ، زائلة لا محالة، أجابتها نورهان

بدأن ﰲ التهاوش والتناوش.. وكانت حربٌ على وشك البدء إلى أن تدخلت نهاد موقفة إثناءهن عن التفاهة التي تتضخم حيناً بعد حين.

عمّ السكون بعد الصراخ الذي نتج بينهن.. فوجّهت نهاد كلامها لي " لدي لكِ مفاجأة "

■ عودة والدي مثلا !!

■ لا.. بل من يعوضكِ عن فراغ والدك

اعتدلت ﰲ وقفتي لأوجهها فاستطردت هي

■ لدى يامن صديق مقرب ، ، قريب تقريبا من عمرنا

وعمر يامن.. بالمنتصف بيننا. أريدك أن تقابليه حددت لكِ موعداً معه !

■ ومن أخبرك أنني سأوافق؟! اسمعيني جيداً.. ليس الحب من شأني أو طموحي لست مستعدة له ولانكساراته

■ ستوافقين.. ليس عليك إلا مقابلته وحينها يعود القرار لقلبك

■ قلبي اختياراته غبية

■ فقط قابليه ولن تندمي.

■ أريد معرفة كل شيء عنه مسبقا.. اسمه.. عمره.. سكنه.. علاقاته السابقة.. أهو الجاهز لخطوة ما بعد العلاقة أم لا.. تفكيره.. عقليته!

■ رويدك يا نهلة ! جلّ ما أعرفه أنه يدعى أيمن عمره 23 سنة لديه شقة ، ، ولا أعرف أي شيء آخر.. هذا ما عليكِ أنتِ أن تعرفيه

■ دعيني أفكر

■ لا وقت للتفكير بعد غدٍ مساءاً سيكون اليوم المنشود

●●●

مضى اليوم حتى نهاية الدوام ، ، ولم يكن فيه شيء يستحق الذكر.. عدت للمنزل أفكر في فكرة دخول هذا الـ "أيمن" لحياتي

■ أمي ؟؟

■ أجل.. منذ متى وأنتِ هنا !

■ عدت لتويّ.. أريد اطلاعك على أمرٍ ما !

■ ماذا هنالك؟ أطلب أحد معلميك رؤيتي. أخبريهم أنني مشغولة

■ لا لا.. علاماتي جيدة بالمدرسة

■ استمري إذاً

■ ما أريد اطلاعك إياه هو أنني بعد غد سأرافق نهاد.. سنخرج سويا

■ حسنا

■ حقا ؟

■ أجل والآن أتركيني لوحدي

ذهبت لغرفتي لتغيير ملابسي.. أديت فروضي المدرسية ثم جلست أشاهد رفّ غرفتي لأختار كتاب أقرأه. ..

همم ماذا ستقرئين اليوم يا نهلة.. ماذا يا ترى.. أآه وجدتها " قناديل مطفأة " بدأتها سابقا ولم أكملها.. على وشك إكمالها.. أخذت أقرأها.. أقرأ حروفها وألتهمها بعياني وكأنني احتجت للقراءة وكأنني وجدت الطريق بعد الضياع.

قاطعني طرق خفيف على باب غرفتي

■ أُدخل

■ حبيبتي نهلة..

■ أمي. ماذا هنالك ؟

■ فقط أردتك أن تخبريني !!

■ ما الذي تريدين معرفته ؟

■ أين ستذهبن.. ومن معكن.. وهل ستتأخرين ؟

■ لا أعلم أين فلقد أخبرتني أنها مفاجأة ، ، سنذهب وحدنا ولن نتأخر

■ تخرجون وحدكن.. لا يعقل، سأذهب معكن !

وتّرني جوابها بذهابها معنا.. فقلت لها قبل أن تلحظ التوتر

■ لا داعي فلن نتأخر ونحنا لسنا بالطفلتين.. لقد بلغنا 18 الآن وما هذا؟ لقد طلبت دعوتي أنا وحدي..

■ حسنا.. فقط اعتني بنفسك.. أتريدين بعض المال ؟؟

■ ليس الآن

■ حسنا والآن أخلدي إلى النوم !

●●●

الشعور بأنه ليس هناك أحد مهتم لحالك..

هوا شعور الموت وانت على قيد الحياة ، ، ليس بشرط أن تكون قد ارتكبت الأخطاء بسبب الضغوطات ، ، ولكن عدم الاهتمام يجعلك تذلّ نفسك لتجد من يهتم بك.

توتر المشاعر واضطرابها صعب على فتاة وحيدة مثلي. .

لا أعلم أعليّ التقدم في هذه المرحلة أم علي إنهاؤها قبل بدايتها. .

فعلا أنا في حيرة خائفة متقلبة المزاج مؤخراً.. كثرة تفكيري تشعرني أن أصوات التفكير أصبحت صاخبة وبإمكان أي أحد سماعها عند مروره بجانبي !

●●●

■ وافقت !!

■ حسنا جيد جداً.. أراكِ مساءاً

هذا الحديث القصير الذي دار بيني وبين نهاد في نهاية الدوام قبل خروجنا سوياً

عدت للمنزل أفكر ما الذي عساي أن أرتديه ؟؟

أردت أن أكون بسيطة.. فالبساطة جمال

رنّ هاتفي المحمول.. كانت نهاد تعلمني أنها أمام المنزل.. ودّعت أمي وأخذت بعض المال منها.. بدأت نهاد الحديث

■ تبدين جميلة

■ حقا !

■ أجل.. جمال وجهك يكفي

■ أين سنلتقي ؟

■ صبراً جميلاً

وقفت بنا سائقتها أمام قهوة.. نزلنا وأخذنا مكاناً كان محجوز

■ اجلسي هنا

جلست اينما طلبت مني نهاد الجلوس

وقف علينا "النادل" مستفسرا عن طلبنا.. طلبت للوقت الحالي عصير تفاح وطلبت نهاد نسكافيه.. قالت عند ذهاب "النادل"

■ متوترة ؟

■ قليلا

■ من ماذا !

■ لست أدري.. لا أظن أنه سيعجب بي!

أطلقت ضحكات قوية وتابعت

■ أتستهزئين !!.. ألا تمتلكين مرآة.. بحقك أنتِ صارخة الجمال

ابتسمت في خجل.. فتابعت قائلة "ها هم حضروا.. "

●●●

كان يامن طويل.. مقارنة بي وبـ نهاد.. أو لعمره.. على كلٍّ كان طويل.. صاحب بشرة بيضاء وردية ولحية مهذبة وعينان بنية

اما أيمن.. كان متوسط الطول حنطي البشرة ولحية خفيفة أضافت على وجهه جمال رائع ، ، عينان زرقاء واسعة.. أجل هكذا كان أيمن مجرّد من العروبة. .

اقتربوا منا إلى أن نهضت نهاد وأخذت يامن وجلسوا لوحدهم في طاولة وتركتني مع أيمن على طاولة وحيدين..

جالت عيناي في كل مكان توترا.. لاحظ التوتر وحركة قدمي المتوترة بسرعة فائقة.. قال محاولا تلطيف الأجواء.

■ كيف حالك !

■ بخير.. أنتَ

■ الحمدلله.. لما كل هذا التوتر ؟

■ لا شيء.. فقط بإمكانك القول أنها المرة الأولى

■ ألم تقعِي في الحب مسبقاً!

قفز لذهني كلام سونيا عندما تعللت عن كلمة " الوقوع في الحب " أردت أن أتكلم وأخرج صوتي لأقول له نفس الكلام.. ولكنني تراجعت!

■ لا.. لم أقع مسبقاً.. لن أحب حتى أرتفع.. الحب ارتفاع وطيران من الفرح بين السحب في السماء وليس الوقوع في خنادق معتمة

تراجع هو.. كان ردّي وقح بالنسبة للقاء الأول

■ لما كل هذه العصبية ؟

■ إياك أبداً أن تنعتني بهذه الصفة.. اتفقنا ؟

■ حسنا.. أعتذر، أتريدين شيءٍ ما؟

■ أجل..

طلب هو صحن الشاورما أما أنا طلبت الباستا الإيطالية

أكلنا في صمت مريب.. عم علينا هدوء من بعد قسوة أسلوبي.. سرقت نظرات لطاولة نهاد ويامن. بعد أن سرقت أذناي أصوات ضحكاتهم

كنت أنظر لهم حتى تناسيت كل ما حولي.. رأيت عيون نهاد الممتلئة بالفرح والسرور.. ممتلئة بالحب ولا مكان فيها للنفور منه..

تابعت النظر حتى وقعت شوكتي دون انتباه مني.. أيقظني صوت سقوطها على الأرض.. أردت أن ألتقطها ولكنني عجزت.. اكتفيت بالنظر إليها ترتجّ.. نظر إلي أيمن بانتباه

وقال

■ لا عليكِ.. " قرسون " شوكة لو سمحت.. لا بأس ها هي شوكة نظيفة

فقدت شهيتي للأكل. قد تقولون أنها سخافة ولكن شعرت بهذه الشوكة كأنها أنا.. سقطت وحيدة بعد وفاة والدي.. لم ينقذني أحد من غرقي. .لم تتابعني والدتي ولم تحاول حتى التحسين من وضعي..

قطع شـرودي وشريط ذكرياتي بصوته طلب مني الخروج لنتمشى قليلا.. طلب القرسون والحساب.. أردت أن ادفع نصف الثمن ولكنه منعني.. ابتسمت له وتركته بعد طول جهاد من المحاولة.

رمقنا كلّ من يامن ونهاد.. ابتسمت نهاد. .اعتقدت أن الخطة سارت بنجاح. .

خرجنا ليختلف الأمر فقط في عدد المارين.. لم يهتم أحد. كل منا كان يفكر سارحاً في أموره..

●●●

■ " أتعتقد ؟؟ " سألت نهاد يامن

■ أعتقد ماذا !

■ سينجح الذي ما بينهم

■ أجل.. ستري

اكتفينا بوصولنا لنصف الشارع الطويل وأخذت أقدامنا

تخطو خطوات العودة لنهاد ويامن.

ذهب كلّ منا في طريقه.. لم أتكلم مع نهاد عن أي شيء فليس هناك اي شيء بإمكاني التكلم عنه.

■ كيف كان اللقاء

■ جيد

اكتفيت بها.. لتنهي هي كل سبل المتابعة بالأسئلة

■ ألم تتفقوا على موعد آخر؟

■ لا.. لم نتلكم ولم نتفق

■ ولماذا ؟

■ هكذا. .

صمتت بعد أن أحست بنبض قلبي الباحث عن أي شيء ليحزن لأجله. .

دخلت للمنزل.. عند دخولي واجهت أنفي رائحة غريبة لم الحظها قبل.. لم أبالي في بادئ الأمر.. ولكنها ازدادت عنفوا ناً

وجدت أمي جالسة وبيدها زجاجة رائحة " بارفان " لوالدي.. كانت تجوب المنزل وترشه بالرائحة.. كانت مشتاقة إليه كثيراً، لم تلحظ دخولي فانصرفت دون إزعاجها أو الدخول في نوبة البكاء معها..

عليكِ الاقتناع يا نهلة، والدك رحل ورحل كل ما هو حنون معه.. لن يعود فلقد ذهب للذي هو أفضل.. ما جدوى البكاء !

الأمر برمته براءة.. في صغري لم أكن أؤمن بالموت.. وحيناً

أخرى في عقدي الأول اعتقدت أن الجسم يموت والروح تبقى بداخله عاجزة عن التعبير.. واعتقدت أيضا.. لا بل اقتنعت أن الموت للكبار والمسنين ولكن سرعان ما اختفت هذه النظرية

لم أتعلم أصول الدين وكل شيء من هذا القبيل.. كثيرا ما كنت ألْقَى التعجب من مدرسات التربية الإسلامية لأسئلتي.. كانت أسئلة يظنها البعض معروفة ولكن أنا لم يكن هناك وقت لوالدي أو والدتي لتعليمي إياها فاعتمدوا على التدريس والمدرسة.. والمدرسين والمدرسة اعتمدوا على والداي.

سرت عبر الممر توقفت أمام غرفتي أنظر لها.. خطوة تفصلني عن دخولها.. لطالما كانت غرفتي ملاذي ولكن الآن انتابني شعور إنه لو دخلتها ستضيق بي الحال كثيرا !

تراجعت وتجولت في أنحاء البيت لتلحظ والدتي عودتي ولكنها لم تلحظ.. تابعت تجوّلي حتى خطر ببالي السطح !!

صعدت الدرج وخرجت للسطح.. استقبلني غروب الشمس بسماء زهرية كانت جميلة جدا.. لم أصعد للسطح مسبقا.. المنظر جميل جداً من الأعلى بالرغم من الأرضية التي تكسوها الأتربة.. فليس هناك ما يخفى عليك كل شيء أمام وتحت ناظريك.. جُلت به كالأطفال.. جلست على الأرض لأراقب الغروب وحركة الشمس.. كيف ستتحرك ؟؟

ولكنها لم تتحرك أو بالأحرى لم يكن باستطاعتي ملاحظة حركتها لتجمد عيناي عليها. .

معجزة إلاهية هذه الحياة. من كبيرها وصغيرها.. وفجأة مع الغروب شقّت السماء قبيلة من الطيور المهاجرة.. كانت

جميلة جدا بلونها الرمادي القريب من الأسـود.. تمنيت لو أخذت لها صورة ، ، ولكنني تغاضيت وذهبت لأتفقد والدتي

●●●

كان الجميع متشوق لما سيسمعه مني عن لقاء أيمن.. ترقبوا دخولي حتى جاءوا أفواجاً مبتسمين متسائلين !!

■ ليس بالشيء القابل بالتذكر

صعقوا.. فلقد توقعوا نهلة غـارقـة بالحب حتى أركابها وعيون تتلألأ كالنجوم في ليلة شديدة السواد. وجدوا العكس.. توقعوا أيضا أنني كاذبة.. ولمَ ؟؟ أيجب أن يكون لقاءاً كامل !

استفسرت نـوران " كيف هـذا ؟؟ أتعلمين لـو كنت أنـا و حُسين لتذكرت كل لحظة منه وحفرتها في جدران ذاكرتي. ."

■ وإن كنتِ أنـتِ وحُسـين.. ستتسينه !! لأنـك لم تعتادي على تواجده بالقرب منك كما نحن الآن.. كل ما تعتادينه هو صوته ورسائله

قطعت بلقيس حديثنا "لا يهم.. ستستمرين، أليس كذلك؟"

■ حقيقةً لا أعلم.. ولكنه جيد

■ سنحتفل إذا اليوم !

كـان رد فعل سفيه مـن نـورهـان لكنها أطلقـت ضحكتها الخفيفة ليضحك الجميع.. والآن اتجهوا إلى نهاد لسؤالها عن يامن وكيف سار الموعد.. لم أعد محط الأنظار والانتظار.

■ نهلة !

التفت لنهاد لأنظر لها نظرة تبعث الاستجابة فقالت " ألن

تتصلي به ! "

■ لم يعطني رقمه

■ بسيطة ! سأحضره من يامن اليوم بالفُسحة. .

كانت أصعب 4 حصص وأطول. لا أعلم لماذا.. ربما بسبب انتظاري لسماع صوته.. لم أتعلق.. لا تفقهوا بيت القصيد خطأ.. ولكن مغامرة !

●●●

حضرت بلقيس لتخبرنا أن لا أحد بالممر وأضاءت لنهاد الضوء الأخضر لتتصل بـ يامن ، ، كان هو قد استجاب لنداء هاتفه المضاء برقم نهاد وضحكوا قليلا معاً، مع بعض مزاح الأحباء..

فكّرت لو كان لبقاً أن أطلب أنا رقم أيمن.. كانت حركة ستدل على الخفة والسفاهة بعد أن لعبت دور الرزانة أمامه بالأمس..

■ نهاد !! لا تطلبي الرقم

■ لحظة حبيبي.. ولماذا؟.. ألم أتصل لهذا السبب ؟

■ نعم ولكن ليس باللبق.. قد لا يريد !

■ أصمتي أرجوك وتوقفي عن إزعاجي.. يامن

■ ملكة قلبه. .

■ أرسل لي رقم أيمن.. فـ نهلة تريده

■ حسنا ولكنه بجواري الآن.. اعطي الهاتف لنهلة وأنا سأعطي هاتفي لأيمن

■ حسنا.،، نهلة تفضلي

لم تلبث ثواني حتى سمعت صوته

■ السلام عليكم نهلة.. نهلة أنتي هناك !

■ أجل.. أعتذر، بخير وانتَ ؟

■ الحمدلله

حلّ الصمت مجددا حتى أخذت نوران ورقة وكتبت لي " تكلمي "

■ أيمن !

- أجل

■ أيمكنني الذهاب ؟

■ بالطبع

أعدت الهاتف لنهاد وجلست أبتسم.. كان صوته جميلا ورجولي

■ ضحكتيِ وأخيراً

■ ههه لا ليس أخيرا.. صوته جذّاب.. سأخوض التجربة فقط لحب المغامرة.. أشكر تدخلك والورقة

●●●

هَلاَ ياَ الِّي تَمَنِّتِكْ نِصِيبِي

" كانت هذه الأغنية التي كانت تتبع اتصال أيمن "

هَلاَ يا الِّي تَمَنِّيتَكْ نِصِيبِي.. هَلاَ يَا فَرْحِي وَ سَعْدِي وَ طِيبِي

هَلَا يَا نِصْفِي الثَّانِي هَلَا بِكْ.. هَلَا بِـ اللِّي أنَادِيهِ بَـ حَبِيبِي عَلِيمْ اللّه يَا أَجْمَلْ وَ أَطْهَرْ.. يَا أَشْرَفْ حُبٍّ يِحَيَا بِيّ وِيكَبَرْ بَأَنَّكْ فِي وُجُودِي شَيّء أَكْبَرْ.. مِنْ أَنِّ أَخِذْ أَنْفَاسِي وَرِيقِي

■ أيمن

■ نعم حبيبتي

■ أفعلا تحبني ؟

■ قد لا تصدقين مقدار الحب الذي أكنه لك في قلبي !

■ أبرايك أننا سنتزوج يوماً

■ بالطبع.. وسيكون لنا أطفالا بعدد شعر رأسك.. سيكونون صارخيّ الجمال مثل والدتهم

ضحكنا معنا.. كان دائما ما يعتبرني جميلة وأميرة.. حتى أسماني بسندريلا قلبه

كان دائما ما يجيبني " يا سندريلا قلبي أحبك ".. حتى الآن الحب بنظري جميل.

ولكن لمَ العجلة ؟؟ قلت حتى الآن فقط.

كان للأن أسبوعان فقط من الحب والغزل ، ، لم يتقدم خطوة ولم أتقدم خطوة.. كِلانا ينتظر الآخر

أسوء حب يكون الحب الذي يجمع بين رجل مكابر وفتاة عنيدة.. لا الرجل يتواضع ويتقدم ولا هي تكسر سور عِندها وتتقدم.

●●●

■ ألم يتكلم أيمن عن أي شيء بمناسبة الزواج ؟، تكلّمت

نهاد

■ لا.. لم يفكر بعد.. لم يفكر أيّ منا بعد أو يتقدّم

■ ولِمَ.. أيريدك للتسلية !

■ لنفس السبب الذي أبعد يامن عن ساحة الزواج كلّ هذه السنين

أخرستها بجوابي.. لا أعلم سبب يامن حقا، كل ما أعرفه أنه يحب نهاد وأنه رجل ناضج.. لما لا يتزوجها ؟

كان يوماً ينذر بالشؤم منذ البداية.. حضرت نوران تبكي بحرقة ومصفرّة.. لم تستطع الكلام.. ظننت أنها فارقت حُسين.. ولكني قاربت عن الإجابة.

تكلمت بعد دموع غزيرة استقرت أخيرا في عيناها توقفت عن السقوط..

■ لقد سُلِبَ منّي كل شيء.. بالأمس أخذت والدتي هاتفي المحمول والكمبيوتر المحمول أقسمه والدي على نصفين.. فقط لعلمهم بـ حُسين

من كثرة دقات قلبي وسرعتها كاد قفصي أن ينفجر ويخدش قلبي ويقتلني.. كان هذا أهون من دموعها.. لم تتوقف مجددا عن البكاء بعد كلامها.. حاولنا أن نهدئها ولكن لم تكن بأيدينا حيلة.

■ دعوها تستفرغ ما في جوفها من حزن.. حتى لا تضعف مجدداً أمام أحد.. ليس على أحد أن يسألها ما الذي جرى.. دعوها على هواها تتكلم " قالت نورهان "

قالتها بصوت خفيض حتى لا تسمعها نوران ولكن سرعان ما استجابت نوران " سمعتك "

فضحكت أنا بدون قصد.. ضحكه صغيرة وتابعتني نورهان ثم ضحكنا جميعاً

جديدة أنا بينهن.. ولكن أحبهن كثيرا.. لا أريد دموع أحد منهن.

تعودت قربهن واحدة تلو الأخرى.. أشعروني بالوطن والحضن الذي بحثت عنه مطولا دون بصيص أمل لإيجاده.. ولكن وجدته بوفرة لديهن.. من قال أن الصديقات لسن وطن!!

بل هن أفضل وطن. نتفهم بعضنا دون كلام ونشعر بضيق بعضنا دون كلام.. نفس الأفكار تطوف بأذهاننا.. كنا فعلا نحن الستة مختلفات عن غيرنا كثيراً

أيضا ذكر بالسنة أن من عاشر قوماً أربعينَ يوماً أصبح منهم.. وأنا عاشرتهن لأشهر.. ولما لا أكون منهن !؟ حقيقةً لا أستغرب وجودي ودخولي السريع معهن ، وهن أيضا لا يستغربون هذا.

●●●

كانت هذه المرحلة المقبلة على تفرقتنا.. أفضل امتحانات الامتحانات النهائية للفترة الثانية للشهادة الثانوية.. اسم يصعب حفظه !

ذاكرنا قليلا وأحببنا كثيرا.. وإن خرجت إحدانا منزعجة من حلّها في الامتحان. نمازحها قليلا كي تستعد للمادة الأخرى..

أخرجوني تماما من عالمي الحزين.. وأخرجني كذلك أيمن ولكن هذا لا يرفض عدم وجود بعض " السقوط " - مثلما أدعوه - بيني وبينه وبين بلقيس وعمر ونهاد ويامن..

أذكر هذا اليوم كالأمس.. رغم مرور السنوات عليه آلا وأنه قبع في ذاكرتي كي يكون عبرة. .

جاءت نهاد بضعف وحزن.. كانت أكثرنا ابتساما وكلاماً كانت خفيفة الظل تحب أن تضع بصمة لها.. تحب أن يحفظها الجميع !

ولكنها ذاك الصباح كانت مختلفة كل الاختلاف ، ، أتعرفون لماذا ؟

كان يامن قد خطب.. كان سيتزوج زواج تقليدي.. أحقا استطاع أن يفعل هذا الفعل الشنيع.. لم أصدق في البداية.. كان يحبها كثيراً بل يعشقها ويعشق هواها.. كانت تدعوه أبي لكثر حبه وعطفه عليها. .

لم تستطع المسكينة الكلام من الصدمة.. ولكننا فهمنا من كتابتها، من خطها ومن كتابة يدها التي ترتعش كثيرا أكثر من ثباتها.. أكثر من ارتعاش قدميها وانتفاض جسدها.. لكنها رغماً من كل شيء كابرت وحبست كل ماء عينيها بالداخل.. بكينا لأجل حبهم الطويل.. لو كانت كل القصص كقصتها.

بعد خروجنا من قاعة الامتحان.. كانت عُقدة لسانها قد حُلّت.. أخبرتنا أنها سمعت طشيش كلام من الجيران عن خطبة يامن لكنها لم تقبل التصديق.. حاولت الاقتناع أن هذا كذب وافتراء.. اتصلت به وتغير كل شيء.

يا ليتها لم تتصل لظلت على قناعتها فهكذا أفضل بنظري..

أحيانا في الحب.. تتمنى أن تعيش في الكذب رغم معرفتك له.. ف هكذا أنت ترحم قلبك ونفسك وروحك من الوجع الذي تعلم أنك لن تستطيع مواجهته.. تفضّل الجلوس دون البحث عن الحقيقة فقط لعلمك أن الحقيقة مؤلمة كثيراً.. تختلق كذبة وتخدع نفسك لتصدقها.. ولكنك تخدع نفسك كثيرا وتظلمها أكثر !

" الكذب أهون بكثير ".. مقولتنا هذه الأيام.. لما الكذب.

لم تكن الحقيقة موجعة في زمن أجدادنا ؛ لأنهم لم يعتادوا على الكذب.. نحن من أخترع الكذب والآن نتجرع كأسه مرّاً قاسياً.. إن كان الكذب يُنجي وينقذ جوارحنا.. ف بالتأكيد الصدق يُنجي أكثر..

الكذب يدعنا مستمرين في نفس الشيء.. حبل الكذب قصير، أليس كذلك ؟.. يوما ما سيقطع حبل الكذب ونواجه الحقيقة كالحمم البركانية المتوهّجة.. ف أيهما أفضل !

نواجه الحقيقة بكرامتنا غير مستسلمين لها ضعفاء.. أم نقف تحت ظل الكذب حتى ينقلب فجأة حرب !!

■ يامن !

■ نعم يا نهاد

كانت المرة الأولى تقريبا.. يناديها بهذه النبرة وباسمها.. كانت كفيلة بأن تجعلها تصدق الكلام الآن.. ولكنها أصرّت. .

■ هناك أخبار تقول.. أنك خطبت فتاة أخرى !

■ أجل..

زفر هو في شكل من أشكال الضيق.. لكنها لم تميز أي درجة ! انقبض قلبها. .كاد أن يخنقها.. أكملت بدموع لم تحاربها.

■ وأنا؟

■ نصيب

قصة النصيب نفسها مع سونيا تكررت مع نهاد.. كان يجب أن أخبرها بقصة سونيا.. لعلّ وعسى أن تكن لها عبرة.

■ عذرٌ أقبح من ذنب.. يامن بإمكانك الرفض إن كنت تحبني !

■ ليس بهذه السهولة يا حبيبتي

■ يكفيك كذب

انهارت باكية حتى لاحظ هو صوت عبراتها.. صرخت فيه موبخه لفعلته

■ إن كنت حقا تحبني.. لرفضت أساسا.. لتكلمت عني وحضرت لخطبتي لكنني حقا كنت تسلية لك ولم تحبّني قط..!

حاول الكلام ولكن كلامها كان سيفاً اخترق قلبه وثقبه.. جرحه جرحاً علم حينها أنه لن يطيب أبداً لن يسامحها عليه حتى وإن كان يحبها. .

كان فعلا يامن يحبها ، ، وهي تعلم ذلك جيدا ولكن لحظة الغضب ، ، لن يكون أحد معصوم عن الخطأ حينها. .

أقفلت الخط بعد أن زادها صمته استفزازا.. لم تجد

أحد لتبكي بين أحضانه بكت قليلا. لا فلقد بكت كثيرا على وسادتها.. مر كل شيء بينهم امام عينيها.. تذكرت أن الله هو المنتقم وستنتظر انتقامه. نهضت لتتوضأ وتصلي لتشكو للواحد الأحد.. اختفت دموعها في أركان الصلاة.. ولكن لم تختفي لوقت طويل.. حتى لامست جبهتها الأرض.

أحست بقلبها.. أحست أن بكل ما فيها بين يدي الله عز وجل.. بكت كثيرا بدون كلام بكت حتى شهقت على المصلية ودعت « يا رب إشفى جروحي وأبعدني عن أي شيء يضرني.. إلا هو يا رحمن إن كان شرا اجعله خيرا اجعله نصيبي يا رب لا مقدرة لي على فراقه »

رنّت كلمة « فراقه » بأذنيها فبكت مجدداً.. بكت أكثر بحرقة لم ترفع من السجود حتى تأكدت أنها قالت كل ما يضيق بصدرها وكل ما قد يكسر خاطرها.. رجت الله كثيرا أن يكون نصيبها.

●●●

■ لا زلتم تصدقون هذه الكلمة ؟؟ تثقون بالحب في مجتمعنا !

هكذا كانت أول كلماتها بعد أن توقفت على البكاء.. كل منا خصّص جزءا في قلبه لنهاد ولحزنها.. بكت أيضا نوران بكينا جميعا.. لكل منا سببه

كان سببي فراق والدي الذي عاد ينبض بعد أن توقف.. وأنه اليوم الأخير ولن نرى بعضنا مجددا لأسبوعين متتاليين وبكت نوران أيضا للأسبوعين.. وأنها ستبقى وحيدة بالمنزل

الكئيب بعد معاملة والديها لها.. كل ما فعلوه كان حفاظا عليها ولكن هي تعتبره تدخل. لن يتفقوا أبدا

وبكت نورهان.. للأسبوعين أيضا ولحبها الذي لم تصرح به لشادي

ونهال كانت الأشد بيننا.. كانت دائما تقول كلمات حفظناها جميعنا « أنا أحسنكم عيشة «

كانت محقة.. لا حب يتعب قلبها.. لا حبيب يتزوج فيتركها.. كل همها صديقاتها ودراستها.

هكذا هن الفتيات الذكيات.. كنت ذكية فيما مضى.

كان بكاء نهاد صامتا ولكنه الأكثر معنى.. بكت لأنها ستواجه ألم فراق يامن لوحدها لأسبوعين

آلمني قلبي لحالها.. نهاد أنتِ تبكي لفراق حبيب.. سألت نفسي إن كانت أنا الذي تزوج حبيبها وتركها؟ إن كان أيمن.. سيكون حزني أعمق ولن أعد للحالة الطبيعية أبدا

دخول أيمن لحياتي كان عاملا ومحفزاً لتخطي حزني على والدي.. ساعدني كثيرا أخرجني كثيرا من النوبات التي كانت تصيبني.. كان فعلا دوائي.

●●●

أول أيام العطلة.. دخلت أمي الغرفة مبتسمة.. لم أرها هكذا أبدا.

نزعت عني الغطاء حاولت أن توقظني ، ، فتحت النافذة فدخلت الشمس بأشعتها مشرقة مسرعة

■ امي أريد النوم

■ يكفيك يا كسلانة خانوا.. سنخرج اليوم

جلست على فراشي أحاول مقاومة ضوء الشمس وأفتح عيناي لأرى والدتي.. سألتها إلى أين؟

■ سنذهب في جولة مع سونيا وخالتك.. نجلس في مكان ما لشرب القهوة ثم سنقصد المكتبة لشراء بعض الكتب ومن ثم للشاطئ.. فهو جميل جدا هذا الصباح

■ أي شاطئ أمي إنه فصل الشتاء.. البحر يعاني مغص هذه الأيام

■ حسنا إن وجدناه في هيجان مخيف نعود لأدراجنا.. فقط إنهضي

تذكرت موضوع نوران ونهاد.. كيف سيمضون يومهم

■ أمي!

■ نعم

أخبرتها عن أيمن.. كي لا تعرف لوحدها.. قد تحرمني منه كما حدث لنوران.. كنت مرتجيه شيء آخر عن الذي حدث

■ حسنا.. جيد اتصلى به لنلقاه اليوم

■ حقا !.. أنتِ أفضل أم على الإطلاق

قفزت فوق السرير مرات عدّة.. ضمنتها لصفي ولصف عشقي له.. هذا كهل أزيح عن أكتافي

اتصلت به فعلا وأخبرته أننا سنخرج ونلاقيه ووافق، هو

أيضا فرح للغاية بالأمر.

أخرجت كامل ملابسي.. ثم أخيرا استقررت على شيء.. وجدت خالتي وسونيا بالدور السفلي وأمي أيضا ينتظرونني.. كانت بداية جيدة للعطلة تبادلنا الحديث جميعا ثم انفردنا أنا وسونيا

■ أزفّ لك الخبر !

■ وما هو.. ؟

■ لقد أحببت رجل.. يدعى أيمن

■ حقا.. وأنا أخر من يعلم سوف أنتقم لهذا التأخر

ضحكنا سويا وأخبرتها أننا سنراه اليوم وأنني أطلعت والدتي بأمره.. كانت مبتسمة وتتظاهر بالفرح ولكن عينيها كانت تحمل شكلا آخر وتعبيرا آخر عن البسمة والكلام الذي أفصحته لكنني لم أهتم.. اعتدلت في جلستي والتفت للنافذة لأشاهد أي شيء يمر بحذوي

●●●

لم أنم إلا لسويعات قليلة.. لم أكن أنوي النعاس أريد السهر والبكاء حتى أهلك صحتي وأموت. وما مرادي من عالم خالي من يامن.. هل ستتطوّر حياته ويتزوج بها !

أم أنه سيتركها ويتزوجني.. لا أريده أن يتزوجني ولكني لا أريده أن يتزوج بأخرى تبعده عني وتصنع الحدود بيننا.. مهما حاولت ستغار عليه هذه المدعوّة زوجته. .

كان يامن بالنسبة لي بداية كل شيء..

بداية حب.. بداية دلع.. بداية نبض لم أعتده.. قبل أن يصبح « حبيب « كان « قريب «..

منذ نعومة أظافري وهو ابن الجار.. أحببته حين أدركت عقول الأطفال الكلام.. أحببته وأنا بالخامسة من عمري « حب طفولة جنوني «

كان فتى أحلامي.. كان عمره واحد وعشرون ربيعا أما أنا لم أبلغ عقدي الأول بعد.

كانت أبسط اهتماماته.. حب بالنسبة لي ورعاية بالنسبة له. أحببته هكذا.. متأكدة بأن شعوري حينها « حب مراهقة « في سن يافعة جدا جدا

لا أدرى إن كان يعلم ما يخفي قلبي وما يكنّ له من مشاعر أعمق من عمري.. أخبرني أنه سيغادر ليبني مستقبله ليأتي ويتزوج بأخرى. قتلتني الغيرة كثيرا وضحك هو كثيرا.. ظنّ أنها عفوية أطفال ولكنها كانت حب.

كان أول أيام العيد.. ارتديت ثوبي الجديد بفرح لا يقاوم بابتسامة تكاد تفوق الشمس في إشراقها.

خرجت من غرفتي لأجد يامن جالس ينتظرني. .ابتسم وأخبرني أنه سيأخذني لنلتقط أخر صورة لنا قبل سفره. حزنت لخبر السفر ولكنني نظرت للجانب المشرق.. أنا و هو الآن وحدنا سنلتقط صورة سنوات أخرى ونضحك عليها ونريها لأحفادنا..

كنت طفلة أتوهم بأشياء غبية.. جلّ ما عرفته أن لا جدار يصد الحب وهذا ما اعتقدته مع يامن، ليس هناك أي جدار

سيصد حبنا وسنتزوج وننجب الكثير من الأطفال.

دخلنا للمصور وكل ثانية تزداد ضحكتي إشراقاً خلالها.. أطرقت ضحكاتي تزداد رويداً رويداً كل ما يقول المصور « اقتربوا أكثر ».. كانت من أجمل الكلمات على أذني حينها. ظنّ أنه أخي الأكبر ولكن لا بأس هناك وقت سيظنون أنني زوجته. انا واثقه.

■ أسبوع لاستلام الصورة..

قاطع المصور أفكاري الوردية بيامن.

■ لا بأس.

سافر يامن باليوم التالي. ودعته بأعين بريئة تراه وكأنه أمير على حصانه الابيض الكبير.

●●●

وقفت السيارة على شاطئ ما.. نزلنا وهممنا بتنظيم ما أحضرنا معنا من المطعم وبعد إن أكملنا.. جلسوا جميعا وانطلقت أنا لأبلل أقدامي في أمواج البحر..

كانت مياهه باردة جدا بل قارصة البرودة ولكني لم أعبأ عبرت الشاطئ حتى لاحظت أنني تجاوزت الحدود وابتعدت كثيرا. عدت وفي طريقي للعودة لمحت أن أيمن يجول يبحث عني..

« جاءَ سريعاً » هكذا قلت لنفسي.. فأخذت أقدامي تسرع لأستقبله قبل أن يظن أنه أخطأ ويرحل..

■ أيمن.. أيمن

التفت إلي وابتسم ابتسامة تدل على الاطمئنان والفرح

■ تمهّلي. لم الاستعجال ؟

■ أصمت وأتبعني لأريك والدتي والبقية

تبعني وكان محاذياً لي.. اختلست نظرات جانبية وجدته مبتسم يفكر بشرود وينظر للبحر إلى أن تعثر في حفرة لم يرها نظراً لشروده. ضحكت على الموقف عادةً المواقف المحرجة تُضحك رغم إحراجها..

■ أتضحكين؟؟حسنا سأسامحك فقط لأنني أحبك!

■ أحقا تحبني ؟

■ وما رأيك ؟؟ هيا تابعي السير

كان ينفض ثيابه.. يخطو خطوة تارة وتارة اخرى يقف لينفض بناطله ويتأكد من هندامه

■ أمي.. يامن.. خالتي وسونيا

■ تشرفنا.. تفضل بالجلوس

■ لا، لا أود ذلك.. نهلة !! أيمكننا السير معاً

نظرت لأمي فابتسمت وذهب هو وانا خلفه.. كان مجلسنا قريب من الشاطئ ولكنه لم يلحظ اقترابه حتى شعر بالماء البارد يلامس أنامله

■ ماء مثلّج !

■ أجل.. ألا ترى انها غريبة!

■ ماذا؟

■ كون شمس الظهيرة الحارقة هذه تجعل الثلج ماءاً دافئ

في ثواني ليست قادرة على تدفئة ماء البحر الباردة!

ضحك وابتسم أخيرا ابتسامة جانبية جافة وقال « سؤال غبي! »

■ ولماذا؟

■ لأنه بالتأكيد هناك معجزة ما.. لا أدري ولا أحب التدخل في أمور الدين والمعجزات الإلاهية.

ساد صمت عميق.. قد يكون سؤال غبي ولكنه خطر ببالي وهذا يكفي.. لم أعاتبه على اقتراحه بأنه سؤال غبي مع علمي أنه لا يوجد سؤال غبي.. أقنعني أو بأحرى لا أريد مجادلته.

انتهى هذا اليوم وبسعادة عارمة عمّت أرجاء جسدي.. ودعني أيمن قبّل ظهر يدي اليسرى وذهب. أجمل ذكرى.. كان يوم سعدي

●●●

هواء يصفع الأوجه بغير أي حق.. موبخاً لها لاستيقاظها حزينة يريد تنبيهها أن هناك فرصة ولكن لم تنتبه له الأوجه راسمة ابتسامة.. خطفتُ على ذاكرتي ذكريات قد مضت، لونتها بلون أسود قاتم لا محالة له للتفتيح من لونه الحاد

هكذا كانت أول أيامي بدونه لا، لا زالت هناك فرصة.. إذا هكذا كانت أول أيامي للتنذير برحيله وبالحياة بدونه.

فاقت قدرتي درجات التحمل بأشواط وأنا في بداية عهد الحزن والفقد.. وقفت على قدم وساق لكل من حاول الاستهزاء على وضعي الحالي. شتمت نفسي كثيرا ولعنتها

بعدد خصلات شعري بسبب ضعفها وهوانها أمام عيناي تسقط لا تُنازع، تكسر جدار القوة وليست بيدي حيلة لأقف وأسنده.. كانت لياليّ عَتّمَةٌ بَل أشدّ عُتّمَة من جميع الليالي.

تلوّى قلبي من الوجع كثيرا ودفعت عيناي الثمن بالدموع المنهارة.. أحسست أن منبع دموعي حلّ عليه الجفاف فلم تهطل أي دموع جديدة.. وكأنما شمسٌ حارقة اقتربت نازحتها،، حاولتُ جاهدةً البُكاء ولكن قد حلّ الصداع بدلاً منه.

بادئ ذِي بدء أحببت الصباح لنقائه ولكن الآن قد تلون الصباح بأقنعة العطور.. كل المارّة بروائحهم أخفت نسيم الصباح.. لم تجعل له حلّا سوى الاختفاء وعدم المقاومة بعد الآن.

قالت لي نهلة سابقاً في أول أيام رحيل والدها.. أنه أحب الاستيقاظ باكراً جداً كلّ يوم

سألته مراراً منذ صِغرها ولكن أجابها قبل وفاته بأيام « لا يستيقظ باكرا إلا من أراد الاسترخاء.. قبل استيقاظ المزيفين ملوثين الصباح بروائحهم أستيقظ (بروقان) بمزاجي وأنزعج بمزاجي كان صادقاً.

وأصدق من ذلك أن سنين الحب عُجاف.. لا نزدهر ونرتقى إلا بالأوقات الأولى سواء إن كانت شهر أو أكثر فبعد التعلق يزداد الوضع سوءاً ويرحل الحبيب تطبيقا لمقولة « الأحبة راحلون « أوّفوا كثيرا بهذه المقولة.. يرحلون مخلفين ورائهم كل ما هو قاسي نسيانه وأقسى تذكره.. نصف التعلق موت والنصف الآخر فرح ولكن ليس لدى الكل حظ !

من القليل النادر أن يشعر الأحبة بالسكينة في علاقاتهم.. لا يهم فكلنا لها - للرحيل - لسنا مخلدون وليس هناك حب مخلد.. جرحٌ حقيقي تشفيه ابتسامة بريئة من طفل رضيع أو لازال بريء لم يلوّث نغوص بين وجنتيه المرتفعة وضحكته التي أوسعها بكل ما أوتيَ من قوة.. وأيضا بين أسنانه الضائعة التي يرميها صباحاً طالبا غيرها أفضل.. بين أنيابه الصغيرة المدببة.. من يعتقد أن هذا الطفل ذات يوم يعض بأنيابه البريئة ؟؟! يغرسها في شخص ما ويسلب منه كل الحيوية.. أطفال اليوم، عابسون الغد ؟

يا إلهي.. كان الموضوع بدايةً بصباحي بدون يامن والآن بمستقبل الأطفال.

●●●

« يامن آتي غدا على الغداء علينا الإستعداد وطهو كل ما هو لذيذ وطيّب»

كانت كلمات أمي مفرحة بالنسبة لي.. عاد يامن بعد 9 سنوات من سفره أخيراً

اشتقته كثيرا.. لازال قلبي الصغير ينبض له ولا ينبض لغيره ابتسمت وكأن أمي أخبرتني بأنها ستقيم حفل لعيد ميلادي.. انطلقت لغرفتي لأفكر ماذا علي أن أرتدي غدا فعلي أن أبدو جميلة أمامه.. أنا الآن فتاة الرابع عشرة ربيعاً عليّ أن أهتم بمظهري جيدا فهذه فرصتي.

احترت كثيرا.. تغاضيت عن الموضوع وفكرت أنه لن أجد شيء الآن ولكن غدا سأجد.

جلست على فراشي أفكر.. هل ازداد طولا !! أم ازداد وزناً ؟؟ كيف ملامح وجهه.. كانت بريئة أو يمكن بريئة بسبب رؤيتي البريئة لها. .

أخذت ألبوم الصور والتقطت صورتنا معا.. صورة عمرها 9 سنوات.. لم تتغير ولكن تغيرت أنا وتغير بالطبع يامن.. أخذت جهازي الكمبيوتر المحمول وحاولت البحث عن يامن على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وجدته ولم أصدق.. أهكذا أصبح يامن؟

بدون تردد أرسلت له الصورة التي جمعتنا منذ ما يقارب العقد.. لم يكن ردّه مسرعاً وتّرني

أيمكن أن يكون رآها وتجاهل الرّد.. أم أنه فعلا لم يرها بعد !! جلست أمام حاسوبي أنتظر وأنتظر.. أعيد تنشيط الرسائل مرة واخرى وأخرى بعد.. ولا رد إلى أن أخذني النوم العميق.. أيقظتني أمي لأنام في فراشي.

■ كم مر من الوقت ؟؟

■ لا أدري كم لكِ نائمة.. هيا إلى الفراش

أويتُ لفراشي لأكمل نومي.. ثم تذكرت يامن أسرعت ورأيت علامة حمراء على مربع الرسائل.. أيعقل أن تكون من يامن !!

أردته أن ينتظر مثلما انتظرت ولكنني لن أحتمل.. فتحتها مسرعة ووجدت ردّ بارد منه

■ من أنتِ؟!

تباًّ.. كل هذا الانتظار ويجاوبني بكلمتين باردتين..

■ أنا نهاد.. ألم تتعرف على الصورة ؟

كان الرد هذه المرة أسرع..

■ نهـــاد.. كيف أنتِ يا فتاة كَبُرَت نهاد الآن وأصبحت لها صفحتها الخاصة على الإنترنت

■ أجل أجل أنا الآن 14 عاما.

■ ما شاء اللّه !!

■ أنسيت هذه الصورة ؟

■ يا إلهي انها قديمة جدا.. مستحيل، أنتِ هذه الطفلة؟

■ أجل ولكنني لم أعد طفلة الآن

■ حسنا ولكنك كنت جميلة.. لا تنسي أنك ستكونين طفلة في عيناي دائما فأنتِ طفلتي

ابتسمت فرحاً لكلمة « طفلتي » لكن عليّ التفكير جيدا ليس كل شيء بهذه السذاجة الآن.

■ نهاد.. أجاءك خبر عودتي ؟

■ أجل.. أخبرتني والدتي يجب أن أنام الآن فغدا ستوقظني والدتي باكرا لأجل إعداد الغداء

■ لا لا داعي للتعب تأسفي لي منها وأخبريها أنني سآخذكم للغداء في مطعم ما

■ لا أستطيع فهي متحمسة لقدومك

■ أرجوك أخبريها ولا تُحرجيني

■ حسنا.. وداعاً الآن

أغلقت حاسبي وأنا أفكر.. كيف سيكون لقاءنا.. إلى أن

أخذني النوم وأنا فرحة بيوم الغد

أيقظتني والـدتـي معلنة خبـر وصـولـه فنهضت مسرعة بالطبع، استحممت وانطلقت لغرفتي لأغير ثيابي.. وانطلقت لأراه

دخلت غرفة الضيوف وعند دخولي وقف هو ليسلّم.. كان طويـل، ابتسمت بدون مقاومة ومددت يدي لتتلامس أناملي وأنامله معلنين صفقة عمرٌ جديدة.

وجلست مقابلة له لأراه جيدا لأترقب كل حركة يتحركها وكل خطوة يخطوها.. كنت كالطفلة التي تنتظر والدها للعودة مـن السفر وتجلس بحضنه ولكن أنـا لا أستطيع أن أجلس بحضنه بالطبع

■ حسنا إذا علينا الانـطـلاق ف المطعم يبعد قليلا عن منزلكم

قال معلنا رحلته الخاصة التي ظننتها عائلية.

اعتذر والداي وقال هو « لم يبقى إذا إلا نهاد.. ما رأيك بالغداء معاً؟ »

فـاجـأنـي.. نـظـرت لـوالـدي فـوافـق.. وافـقـت وذهـبـت معه للمطعم.

طوال الطريق بالسيّارة كان الصمت ملاذنا.. لا زلت غريب لم أعتد عليه فلقد تغير كثيرا وبالطبع هو يعتقد نفس الشي

« ها قد وصلنا » قالها ونزل من السيارة وجرى مسرعا ليفتح الـبـاب.. ضحكت عالياً إلـى أن التفتت جميع الأعـين حولنا..

طلبنا الغداء.. لا أذكر جيدا ماذا كان ولكن أتذكر أننا ضحكنا كثيرا على الطاولة..

وبالسيارة أيضا تذكّرنا الماضي إلى أن جاءت ذكرى يوم سفره وقلت عن طريق الخطأ بضحك

■ كنت غبية ههه أحببتك فعلا حينها

■ ماذا ؟

■ أسفة لا أعني

قلتها والتفت لنافذتي كي يتجاهل مخاطبتي.. والتفت هو لنافذته وزفر غيظاً

■ كنتِ طفلة !

■ أعلم.. لذلك كنت أحبك

جاء الصمت مرحّبا بنا من جديد. .

●●●

أحسست بعد عودتنا أنّ سونيا تشيط غضبا وغيرة من أيمن.. كانت انفعالاتها ملحوظة.

حاولت التكلم معها بالسيّارة في طريق العودة ولكنها امتنعت عن مخاطبتي امتنعت أنا أيضا وانتظرت العودة لأخبر والدتي.. أرادت والدتي أن تمنحني الحريّة الكاملة كي لا ألومها وأوجهها بفقدان والدي.. كانت هذه أكبر مخاوفها ولكنها لم تعلم أنني بحاجة لقيود ما لأحافظ على نفسي.. ظنّت أنها هكذا ستحميني ولكن ما حدث كان عكس ظنونها. .

دخلت البيت.. ومن ثم لغرفتي حاولت الاتصال بأيمن

ولكن هاتفه كان مقفل.. انشغل بالي ولكن ما بيدي حيلة غير الصبر.. فـ بالطبع لا أستطيع أن أهاتف بنهاد وأخبرها أن تتصل بـ يامن وتخبره ما الأمر مع أيمن.. حقا ! كيف هي نهاد.. سأتّصل بها لأطمئن وأشعرها بأنها مهمة لأحد ما..

» هيا أجيبي «

■ ألووا...

كان صوتها متقطّع ومشوش وهادئ

■ نهاد ؟

■ أجل.. نهلة كيفك ؟

■ بخير وأنتِ؟

■ بخير

سكتنا قليلا إلى أن قالت « أرجوك تكلمي أو أقفلي الخط.. فالصمت بالنسبة لي يحمل الكثير من الذكريات القاسية»

■ أسفة لا أعلم.. ما رأيك بأن نخرج يوماً ما معا؟

■ لا

اغتظت كثيرا من برودة أسلوبها فـ اعتذرت وأقفلت.. لكنني عذرتها بعد هدوئي فهي بالتأكيد حزينة مثل سونيا ذلك اليوم تحتل وجهها ملامح الكآبة مثلها تماماً وبالتأكيد أنها لن تتمكن من أن تخفي تعابيرها الحزينة من الكل خصوصا من يعرفها جيّدا.

هبتت لأتفقد والدتي وأسألها عن أسلوب سونيا المنفعل أمام أيمن.. أخبرتني بأن لا أبالي وذهبت لشغل البيت. عدت

لأحاول الاتصال بـ أيمن ولكنه على نفس الحال.. جلست أفكر بباقي المجموعة.

نوران.. كيف تقضي عطلتها بدون هاتفها أعتقد بالتأكيد أنها أخذته من والدتها..

حقا الفتيات قصصهن لا تكتمل « قناعة ».

ذهبت لوالدتي مجددا أخبرها أن أيمن قد شُغل بالي عليه.. وطلبت مني الصبر وسيطمئنني بالتأكيد

الانتظار تصبح فيه الدقائق ساعات.. والساعات أيام.. كم أكرهه، تباً.

عبرت الممر ذهاباً وإياباً.. حتى شعرت بآلم في ركبتي.. ذهبت لغرفتي لأرتاح قليلاً.

قاطعني صوت هاتفي يرنّ. انطلقت إليه مسرعة.. كان أيمن

- أيمن. أين كنت يا عزيزي
- أنا بخير لا تقلقي
- ما خطب صوتك؟ غليظ !
- لا شيء

كان أيمن قد تعرّض لحادث سير.. كان يعبر الطريق هو ويامن وصدمتهم سيّارة مسرعة.

كانت ضربة يامن اقوى من أيمن ولكنهم الاثنان لم يدخلا العناية.. مجرد كسور ورضوض بسيطة

- أيمن. لا تكذب ماذا هنالك؟

■ حسنا ولكن لا تخبري نهاد

■ حسناً

■ أنا ويامن تعرضنا لحادث سير

وقبل أن أتكلم أكمل هو في هدوء « نحن على ما يرام الآن.. جُلّ ما أصابنا كسور بسيطة في أيدينا ، نهلة.. أما زلتي على الخط »

■ آآه.. نعم انا هنا.. حمداً لله على سلامتكم

■ علي الذهاب الآن.. ليلةً سعيدة

■ ولكَ أيضا..

●●●

عادت لنا المدرسة مسرعة في عجل.. يا إلهي لقد اشتقت للأشرار – كما أطلق على مجموعتنا – يا ترى كيف نهاد ؟

دخلت للمدرسة ووجدتني قد حضرت باكراً جدّاً.. جلست على رصيف الفناء الأماميّ أنتظرهن.

دخلت واحدة تلو الأخرى وكانت نهاد آخر الوافدين.. كلّما حضرت واحدة حضنّاها وضحكنا ولكن الوضع كان مختلف مع نهاد.. لم نفتعل شيء.

وقفنا استعدادا للترحيب بها وعندما اقتربت منها نوران أوقفتها نهاد بحركة من يدها وتابعت قائلة «أنا آسفة ولكن لا أحتمل الأحضان بعد الآن»

تفهّمنا الوضع وأنها ما زالت حزينة على يامن.. احترت في إخبارها عن الحادث الذي تعرّض له مع أيمن ولكنني

تردّدت.. قال أيمن أن لا أخبرها إذاً يجب ألّا أخبرها.

تتالت الأيام وعدنا للضغوطات المدرسية.. ولكننا لم نفقد ضحكاتنا و شغبنا.

عدنا للحديث عن مواضيع العشق والغرام.. أخبرتنا نوران بأن عطلتها المدرسية كانت مملّة جدّاً.. لم تقتنص فرصةً للتواصل مع حُسين غير مرة واحدة. وبلقيس قالت أنها كانت مسلّية مع عُمر وإلخ إلخ.

أخبرتهن أنا أيضا عن ليلة الشاطئ وزيارة أيمن لنا هناك.. فرحن كثيرا لي ولكن نهاد رمقتني بنظرة. لم أفهمها ولم يستطع أحد فهمها.. سألتها لما هذه النظرات الغريبة أجابتني

■ عليكِ الحذر وعدم التعلق به

قاطعتها بلقيس سائلة « ولـمَ؟ لا تظنّي أن كلّ الناس كـ يامن.. قد يكون أيمن حَسَنْ.»

كانت كلمات بلقيس قاسية بعض الشيء على نهاد.. فـ مهما كان فـ هو حب الطفولة بالنسبة لها.

لم تنبس نهاد ببنت شفه ولكن كتمت بداخلها أنهار من الكلمات بعضها جيد وبعضها بذيء لها العذر حقا ف بالنسبة لها صدمة.

●●●

يامن.. كنت أبتسم لا إراديا بعد نطق هذا الاسم. وبعد الابتسام تقفز من عيناي نظرة فرح ولكن الآن تغير الوضع كثيرا.. بل أكثر من المتوقع.

أنطق اسمه ويتبع الاسم حزناً لا يُقاس. بعد أن عاد من سفره طويل الأمد. سافر مجدّداً ولكن لم يستغرق الأمر سوى بضعة أشهر. لا أذكر بأي شهر سافر ولكنه عاد في أغسطس.. آب.. 8

أياً ما كان اسمه.. عاد لأخته الوحيدة كان حفل زفافها في أوجه. عند عودته خاطبني ليدعوني شخصياً. على كلٍ كنت سأحضر ولكنه دعاني.

من هناك ابتدأت مرحلة العشق بيني وبينه، استقر ولم يسافر مجدداً وتوطدت علاقتنا كثيراً أصبحنا نتكلم شبه يومياً وأخبرني انه يريد رؤيتي.. دبرنا في موعد خارج المنزل وبالفعل رأيته. كان مهذّباً وأنيقاً

شربنا الشاي وأكلنا بعض الكيك. إلى أن تطور موضوعنا إلى الزواج. سألته متى يريد الزواج؟

«ليس حالياً ولستُ أخطط له أيضا.. لن أتزوج قبل الخامس أو السادس والثلاثون. ما زلت صغيرا على دخول القفص الذهبي.»

ذعرت من إجابته ولكنني طمأنت نفسي.. فلازلت أدرس بالإعدادية. عاد ليسافر مجدداً بعد مكوثه لأشهر كنا في هذه الأشهر لا نفترق إلا للنوم ، وغالباً لم يكن النوم كافي لتفرقتنا.

بعد سفره انقلب كلّ شيء رأساً على عقب بعد اهتمامه وسؤاله المتواصل عني وعن حالي أهملني فجأة.. فلقد تغيّر تغيُّراً جذريا.

لم نعد نتكلم يوميا مثل السابق ولم يهتم أيضاً لمهاتفتي.

كان يعتذر بحجة العمل وكنت أقنع نفسي. كانت سفرياته العملية كثيرة. ولم يهاتفني من كل بلد يقصده ليخبرني عن أحواله.

طال هذا الإهمال اتجاهي كثيراً.. حتى أُتيحت ليَ الفرصة فلم ألبث حتى انتهزتها.

■ يامن. نهاد ماذا تكون لك ؟

■ ماذا !

■ حقاً يا يامن. ماذا أكون لك ؟

طال صمته ولم يطل صمتي مثله. استطردت مكملة: « فكّر جيداً في الإجابة ولا تفكر في كذبة. أريد الصدق »

■ نهاد. ..

■ ماذا ؟

■ أحبك

ابتسمت شفتاي معلنة عن فرحة لا يمكن قياسُها

■ نهاد.. أين أنتِ ؟!

■ حسناً.. سأخلد للفراش الآن

أغلقت هاتفي وحاولت جاهده النوم ولكن كانت الفرحة أكبر من أن أقتلها بنوم.. حقيقةً لا أريدها أن تنطفئَ ولو لثانية فلهذا لم أقنعها بالنوم. فكّرت كثيرا به ولكن لم يدم هذا الفرح كثيراً

ماذا لو كذب بشأن حبه لي !! إن كان بالفعل يحبني لا يُهملني ولكنه أهملني وخلق للحزن طريقاً يقتحم قلبي ويحفر

به خدوش تؤلم لا دواء لها.

الحب كاللعنة !

أعتذر للعشاق الجُدد ولكنه فعلا.. فالحب في زمننا هذا كمرض الأنيميا الخبيثة « السرطان – حفظنا الله وإياكم ■ « داءٌ لا دواء له.. قد يكون للأنيميا متعالجين ولكن للحب.. لا أعتقد.

الحبيب أعمى وكل تُرهات الحب لم تكن إلا مطب تعثر به هذا العاشق الأعمى. الحب مرض وإن أصاب أحد.. سيبحث هذا الـ « أحد » على طبيبٍ للحب طول عمره وعمر غيره ولن يجد ما يفيده. من أحب فعلا.. لن ينسى من كان يعشقه ويحبه حدّ الجنون. هذه قناعتي !.

غلبني النعاس أخيرا. ..

●●●

■ نهلة.. ألم تطمئنّي على أيمن اليوم ؟

■ نعم بالتأكيد سأفعل ولكن لدي بعض الفروض لأنجزها

■ بُنيّتي.. لن تخسري هذه الدروس ولكن قد تخسرينه لإهمالك

غريبة أمي كيف تحرّضني على الحب وإهمال الدراسة.. في الوقت الذي يجب أن تفعل فيه العكس نهضت لأصل لهاتفي بغرفتي اتصلت به وكان بحال جيّدة.. بعد السؤال. خطر ببالي يامن وآخر أخباره مع خطيبته !

■ عزيزي . .

■ أجل !

■ كيف يامن ؟

■ إنه بخير اليوم.. الحمد و الشكر لله

■ لا . لا أعني حالته الصحية.. أعني العاطفية

استغرب من سؤالي فلم يجب.. أربكني هدوءه. قد يكون ليس الوقت المناسب لهذا النقاش ولكنه قطع حبل أفكاري وظنوني بالإحراج حينما تدخّل صوته: « لا يريد التكلم عن هذا الموضوع »

أيعقل أن يكذب خوفا من أن أخبر نهاد أن يامن سعيد !! أم فعلا يامن لا يريد التكلم !

■ أيمن.. يوما ما ستفعل مثله. أليس كذلك!؟

■ ما هذه الترهات ! أنا أحبك كثيرا يا نهلة.

■ وكذلك يامن يحب نهاد

قلتها فقط لأتأكد إن كان حب يامن صادق وإن كان بالفعل نادم على خطبته !

■ لا أعلم مقدار حبه لها.. الله أعلم بذات الصدور ولكن حبي لك يختلف

■ أنا خائفة إن كنت ستفعل مثله

■ نهلة.. !

لم أستجب لندائه.. كانت الدموع تحارب مقاومة كل شيء حتى تسقط وتخيب كل أمل حَيِيتُ من أجله..

■ نهلة.. أعدك عند دخولك للجامعة سأحضر لخطبتك رسمياً.

■ ولكن لازال هناك وقت كثير

■ ليس كثير.. لم يعد هناك الا القليل من أيام الدراسة والامتحانات وتخترقيها. أب إمكان حبيبتي الفرح الآن !

■ ههه أجل بإمكاني الفرح الآن

■ حسنا إذا.. أعتذر لك عليّ الذهاب. نتكلم لاحقا سندريلا قلبي

■ حسناً

أغلقت وأرددت بيني وبين نفسي أغنيتي المفضلة « هلا يا فرحي وقسمي وطيبي »

أخذت بالدوران حول نفسي حتى أصابني الدوار ووقعت أرضاً

●●●

■ أتعلمين ماذا حدث بيني وبين شادي ؟

كانت نورهان تريد الحديث عن أمره – شادي – ولكنني أبدا لن أرتاح لهذا الشخص. لا أطيقه ولا أطيق تعلقها به وهو لغيرها يتغزل. ولكنها تحبه وعليّ مجاراتها.

■ ماذا ؟

■ حسناً لن تصدقي.. خرجنا معاً

اعتدلت في جلستي وقد اتسع بؤبؤ عيني من كُثر دهشتي.. صرخت عالياً « كيف؟ »

■ صــة ـهْ.. لم أخبر أحد بعد.. ولن أخبر

■ ولماذا !

تردّدت في الرد.. كنت سأنسى أن اسألها عن اللقاء فطلبت منها أن تكمل الحديث وأيضا لأخرجها من إحراج الجواب.. يكفي أنها قد وضعت ثقتها بي

■ « كان البارحة.. حفلُ عيد ميلاد لصديقة لي فأخبرت والدتي ووافقت لذهابي.. ذهبت وعند وصولي وجدت نفسي قد حضرت باكراً جدًّا.. هاتفني هو أولاً وحين أخبرته أنني في حفل ولاحظ الجو الابكم من حولي أخبرني إن كان من الممكن أن يحضر ويراني من النافذة.. أطلعت صديقتي على طلبه فرفضت.. احتجت قالت قد يأتي أحد ما.. فأخبرته برفضها فطرح خطّه»

سكتت لبرهه ونظرت لعيناي تقرأ فيهما التشوق والحماس لمعرفة الباقي.. أجبتها متسرعة بشوق « ما هي؟ »

■ « قال لنذهب معاً للملاهي وإن اعترضت والدة صديقتك أخبريها أنك ستعودين مجددا.. فقط لا تريدين أن تجلسي لوحدك منتظرة قدوم الآخرين وأنتِ قريبة السكن منها فلن تكذّبك.. طاوعته وجاء فعلا واعتذرت لصديقتي ووالدتها وخرجت للشارع وإذْ بِه يقف متكئاً على سيارة أجرة ينتظر مني الصعود. »

■ وصعدتي !

■ نعم

■ أغبية أنتِ؟

■ « دعيني أكمل.. صعدت فعلا معه وجلسنا معاً بالكرسي الخلفي ولم نتكلم حتى وصلنا للملاهي.. نزل هو أولا وفتح لي الباب. ضحكت على هذه الحركة السفيهة.. لعبنا تقريبا بكل الألعاب وسرنا معاً متشابكي الأيدي.. لا تسأليني من بدأ لا أذكر ولكن جرى ما قد جرى إلى أن. »

■ ماذا.. كم أكرهك وأكره توقفاتك الغبية هذه.. تابعي !

■ كنا نسير معا نسرح ونمرح.. إلى أن رأيت صديقٍ ما لأخي

إختفت إبتسامتها أكملت أنا عنها:» ورآك بالتالي ؟؟.. هل أخبر أخاك؟ »

■ رآه شادي أيضا وأخبرني أن لا أنظر إتجاهه ولكنه رآنا معاً.. نَدَهَ بإسمي وأشار إليّ بيده لأقترب..نظرت لشادي فأسرع هو بخطواته إتجاهه.. وما لبث حتى تكلّم

■ «حسنا.. علاقة بين نورهان وشادي.. آخر المتوقع !

■ ليس الأمر كما تظن »

ضغط شادي على يدي وإبتسم في وجهه وقال: « أجل.. هذه هي الحياة دائماً تفاجئك » ونظر إلى وجهي وإبتسم إبتسامة حبيب.. لكنها لم تكن مزيفة. أنا متأكدة أنه قصد تلك الإبتسامة والنظرة المصاحبه لها.

■ وهل سار كل شيء على ما يرام ؟

■ أجل

■ لن تخافي إن كان سيخبر أخاك !

■ لا.. لن يصدّقوه. فهو معروف بأنه دائم السُّكر والتدخين سيظنون أنه يبتلي عليّ غير أن إخوتي لن يكونو متاحين لخلق معه نقاش.. خصوصاً بموضوعي

أقلقتني كلماتها الأخيرة « خصوصاً بموضوعي » ماذا لو فعلا تكلّم وأخبر إخوتها الإثنان؟ ماذا لو إقتنعوا؟ قاطعتني مكملة

■ «عدنا لقطع الشارع الرئيسي ووقف شادي مقترباً من الطريق ليجد سيّارة أجرة وأطرقت أنا صامتة واقفة أنظر له وأقارنه بالنظرة التي رمقني بها إحترت من أمره.. أظن أنه يحبّني ولكنه في علاقة مع فتاة أخرى.. أفعلا يحبني ولكنه متردد من مواجهتي؟ أم إنه يحبنا الإثنان معاً.. صعدنا التاكسي بالكرسي الخلفي مجدداً وتكلم هو:» لن تخبري أحد.. صحيح؟

■ أجل، أعدك

وإنتهى كل شيء لهنا »

■ من الأفضل أن ينتهي.. حقيقة أنا لا. .

كنت سأخبرها بأنني لن أرتاح لهُ أبدا مهما فعل ولكن حضرت نهاد ونوران ونهال فغلبنا الصمت وتجاهلنا الموضوع ولم نتطرّق إليه بعدها مجدداً. كتمت إحساسي بيني وبين نفسي.. قد أظلمه قد يكون مجرد ظن !

■ نوران أخبريني ما آخر أخبارك؟

■ جيّدة

■ ألن تُعيد لك والدتك هاتفك بعد ؟!

■ لا أعلم

أحسست أنها لا تريد الإجابة فتجاهلت أن أسألها مجدّداً.. صمتنا قليلا إلى أن حاولت نهال أن تضفي قليلا من المرح بدلا من النكد الذي كان يهدد بالحضور.

رنّ جرس الفُسحة فدخلنا مجددا للفصول متراصين وكأننا جيوش في حرب. داخلين بكل قوّة وإندفاع.. هناك من يتحرك ببطئ وهناك من يجري وغيره...

عدنا للجلوس في مقاعدنا.. جالسين معاً ولكن كلٌّ منّا منفرد بتفكيره. كم أكره هذا الشعور

لا أحب أن أدع لتفكيري فرصة بأن يقتحم عقلي ويقودني لأفكار وخواطر ومشاعر لن تكفي فقط بالإفصاح عن نفسها في عقلي بل قد تتجرأ وتتجاوز حدودها معلنة دموعاً حارّة.

لو كان والدي حيّ يرزق للآن !

أكان سيُساندني !.. أكنتُ سأضعف أمام رجل وأحبه بعد أن أقسمت أنني لن أحب أحد غير والدي ؟

كم أشتاقك يا أبي. .

●●●

لا أعتقد أن نهلة تعلم بأنني يتيمة مثلها. .

خسرت والدها مثلي ولكنها لم تعتاد بعد على هذا الألم مثلي.. إن ذكر أحد والده أمامه ستبكي سريعاً.. أمّا أنا إعتدت. لا أقول أن فراق والدي لم يترك في حياتي فجوة لا أقوى على إخفاءها ولكن يامن سرعان ما إستطاع أن يغوص

ويغلق هذه الفجوة.. والدها حي بداخلها وميت بالخارج أما أنا حيّ يرزق بداخلي وخارجي أيضا.

سأكمل حيثما توقفت..

لم أخبره بعد أنني أبادله الحب ولكنه كان يعلم. ف حبّي له واضح كوضوح شمس الظهيرة

إستمر إخفائي لإعلان حبي المؤكّد لمدة شهرين تقريبا. أخفيته رغم علمي بأنه يدري جيّدا مقدار حبي له.. كانت ليلة الخميس. من منا لا يحب هذا اليوم

أذكر التاريخ أيضا كان يوم الخامس عشر من شهر أبريل ((4 – 15))

إبتدأ مشوار علاقتنا الغريبة.. من المعتاد أن أي عاشقين لن يدعو حدود لحبهم ولكن نحن !

كانت علاقة حب رسمية.. لم تتعدى عباراتنا السؤال عن الحال والأحوال.. صحية عملية دراسية ولم تصل للشخصية !!

لم يعجبني الحال.. لم أتصور أن تكون هذه هي الآحوال وهذا ما سيؤول إليه الوضع. حاولت مراراً سؤاله لم هذا الجفاف.. فلقد كان أفضل حالا قبل إعلاني له بحبي !..

أخيراً.. سألته:» لما كلّ هذه القيود؟ أهكذا تكون علاقات الحب؟ «

■ لا ولكن أنتِ أردتها بهذا الوضع وأنتِ من وضع هذه الحدود والإطار

لـم أعلّق على كلامه إكتفيت بالصمت.. تحسّنت الأمـور بيننا كثيراً بعد مصارحتي له.. بدأنا حتى مكالمات الفيديو على السكايبي. تجرأنا في هذه الخطوة، أخبرته إن كان ليس مقتنعا او واثقا او اي شيء من هذه العلاقة او من صراحتي او صراحته معي فليخبرني ولكنه كان راضي وقال في مكالمة من المكالمات التي قد يكون نسيانها بالنسبة لي أمر مستحيل:» أنا يامن وبكامل قواي العقلية أقول لك.. أنني على إستعداد تام لأغيّر ملابسي أمامك وليشهد سكايبي على ذلك»

ضحكت وأخبرته أنني لم أطلب الشفافية لهذه الدرجة

■ أنا أمزح، أحقا تظنينني أسفعلها !

■ ربّما . .

■ كفاكِ إفتراء

وأكملنا حديثا عاديا.. أخبرني أنه قد وصل للتو من العمل وأنه جائع. أخبرته أنه بإمكاني الذهاب ليتما يكمل غداءه ولكنه طالب بالشفافيه هههه وأخبرني أنه سيسافر في رحلة عمل متوسطة العمر.. لم يخبرني بموعدها.. إلى أن إستيقظت من نومي يوما ما ووجدت رسالة غريبة منه أثارت في نفسي كُل الشكوك الأنثوية.. أتذكرها حرفاً بحرف:» نهاد أنا حقاً أحبك.. إنتبهي لنفسك جيّداً. لأجلي حافظي على ((روحي)) «

فاضت كل الحواس بداخلي.. كما يقول البعض « فوضى الحواس » هذا ما أصابني.. نعم.. لا أعلم ما الذي كان عساي فعله كان هاتفه مقفل لم أفكر في سفره لقد ضاعت

هذه الفكرة من بالي ولم تخطر أو تعبر عبور الكرام. .

أرسلت الكثير من الرسائل.. تقريبا عشرات أو المئات ولم أحسب عدد المكالمات.. حاولت أن أصل إليه بأي طريقة ولكن كل محاولاتي باءت بالفشل.. أستمر إختفاءه ليومين.

■ ههه ما هذا الإهتمام المخيف.. قلت لك أن لدي رحلة عمل

■ كدت أموت قلقاً عليك. لم تخبرني بموعدها يا أحمق!

■ حسنا يا حمقاء.. لا تقلقي مرة أخرى

■ ولكن كلماتك كانت مخيفة.. زرعت الخوف بكل شراييني وعروقي

■ نهاد

■ ماذا !

■ أنتِ وتيني

■ وما الوتين ؟

■ إبحثي عنه

لكنني لم أبحث عنه يوما إلا عند فراقه. .»أحقا بكل برود تستهزئ بالوضع وبقلقي عليك الآن»

■ ليس بالموضوع الخطير

أمعنت النظر فعلا.. لم يكن خطير و لكن حبي له تحوّل لإدمان خطير.. أدركت أنني لن أستطع يوما العيش بدونه.

●●●

حينما جاءني خبر وفاة والدي.. لم أستغرب فقط ذرفت

دموعي في صمت لم أشأ أن يتدخل أحد ويكمل إنكساري بكلمات مدّعي أنها كلمات مواساة.. لا أحتاجها فعلا، علّمني والدي بأن أكون قوية وهذه المواساة للضعفاء.

لن أحتجّ على قضاء اللّه.. ما الذي بإمكاني فعله غير البكاء ولن يفلح البكاء فلن يعيد لي والدي فقط كان طريقة لأريح بها نفسي

توفّيَ والدي بحادثة رصاص.. رجل ما لم يكن في وعيه أصاب والدي برصاصه وقعت الرصاصة بالقرب من وتينه.. خدشت وتينه، خدشت القليل من حياء وتينه..قرّر وتينه الإنتقام

لم تلبث الدقائق حتى إرتمى والدي على الأرض جثة تفارقها روحها..نُقل للمشفى سريعا ولكن السرعة لم تكن كافية كسرعة القدر. .

أجرت له عملية دامت ساعات لم أحسبها.. كنت أنا ووالدتي والأقارب وأيضا يامن عاد من سفره من أجل والدي.. كنا نعبر المر ذهابا وإيابا.. ندعو اللّه أن يطل بعمره.

خرجت لشرب بعض الماء فلم أعد أستطيع بلع ما يذرف فمي من ريق من شدّة جفافه.. وعند ذهابي خرج الطبيب معلناً خسارة المصاب.. تماسكو أنفسهم عند عودتي.

يعلمون مقدار تعلّقي به ولكن لم يدم تماسكهم طويلاً.. رأيت الممرضات يخرجون جثة من حجرة العمليات.. وضعوا عليها غطاء ابيض لم أشك أنه قد يكون والدي ولكن وقعت يد الجثة لتكشف كل شي.. كانت باليد ساعة والدي.. لا يمكنني

الخطأ في التقدير. وزادت شكوكي من ردود أفعال من حولي.. إجتمعوا حولي فجأة كي لا أرى الفراش المتحرك أو أياً ما كان إسمه.. ولكن ما إن لمحت الساعة حتى جريت مسرعة إتجاه الممرضات وأوقفتهن. .

■ أيمكنني رُؤْيَتُ وجهه !

■ ليس الآن

■ أ، ، أَرَحَلَ نهائيا!

■ أعتذر على خسارتك

■ ألم تحاولو معه بالكهرباء بالجهاز الذي يعيد النبض

■ نعتذر ولكن الإصابة كانت قريبة جدا من الوتين

إذاً.. هو الوتين. ندمت أنني لم أبحث عنه كما كان طلب يامن.. في هذه اللحظة كانت غصّة تملك قلبي لم تجعل من إمكاني التعبير بشيء.. كُثُرَتْ غصّات قلبي وقلّت دقّاته. كان فعلا شعور قاس.

تجاهلونني وتابعو السير عبر الممر.. وقفت وحيدة.. كانت أولى لحظات الوحدة بحياتي.

إقترب يامن مني مُستعداً في أي لحظة لوقوعي المترقب.. ولكنني لن أقع !

لا تُجزي الحروف الألم والأسى الذي ضقته في فراق والدي ولكن كما قُلت لا إعتراض على قضاء الله. إنه قضاءه وقدره. ..

كان يامن سندي الوحيد على فراقه.. كانت والدتي تحارب

آلمها لوحدها وتغلّبته ولكن أنا حينها كُنت جديدة ـ في بوابة الحزن والآلم لستُ مثلها. أنقذني يامن أكثر من مرة أنقذني من محاولات العزلة والغرق ـ في الحزن لذلك كان يامن فرداً مهما ـ في حياتي ولا يمكنني الإستغناء عنه أبداً. .

رأيت ـ في نهلة نفسي وكأنها مرآتي ولكن على نقاء.. نهلة لم تذق الآلم ولم تتجرع كؤوس الإنكسار من قبل

كانت بلقيس الأكثر تجرعاً من ناحية الحُب.. كانت علاقتها بـ عُمر عميقة وقد تفوق أي عمق فهي تحبه حباً جماً وكانت تقول أنه يحبها أيضا ولكن الجميع يعلم أنه العكس.. فقط نصمت كي لا نجرحها.. قصتها مع عمر غير قصص الحب.

كانت بداية قصتها معه مجرد مشكلة بسيطة.. رأيناه يوماً يقف أمام المدرسة الإعدادية عندما كنا بالإعدادية.. أخبرتني أن هذا الولد إسمه عمر ولكنني لم أصدقها ولم أكن أنوي. .

جاءت يوما من الأيام وأخبرتني أنها حادثته على موقع الفيسبوك.. تعلّقت به من أول أحرف يكتبها كانت بريئة الفكر والقلب. ولكنه هو من لوّثها، أحبها وهي صغيرة لا تفقه عن الحب والخذلان حرفاً. .. ظنّت أن الحب الذي ستعيشه مع عمر هو الحب الذي تشاهده ـ في الأفلام العربية القديمة.

كانت وفيّة له ولكنه خائن ـ في حقها وحق حبّها.. رغم كل الأفعال التي قد يفعلها آدم لحوآء لتكرهه لم تكره بلقيس عمر يوماً.. أعلَنت كذبا أنها قد تجاوزت موضوعه يوم علمت أنه قد خانها وقد ذلّ نفسه لفتاة ما وقد أفلت من يده بلقيس التي لطالما صنعت له تاجاً ومُلْكاً ـ في قلبها

كانت تلك الأيام مستاءة ولكنها إستاءت أكثر في القادم.. أخبرتنا أنها تجاوزته ولكنها كذبت وجميعنا نعلم كذبها.. لم تكن تجيد الكذب لم تكن تجيد شيئاً غير حبه. إنقرض الحب الطاهر إنقرض ولم أرى مثله إلا عندها ولكنه كان من طرفها فقط..

سألتها حينها إن عاد.. وأخبرها أنه أخطأ أستعود إليه؟

رفضت وإحتجّت.. ولكن حدثت تفاصيل سؤالي وعادت متأمّلة أنه حقا نادم ولكنه لم يلبث حتى أعاد خطأه ولكن بخطأ أكبر.. لم يخبرها أنه قد عاد ليتكلّم مع هذه الفتاة مجدداً.. هي من عرفت هذا الشيء بنفسها.. عندما عاد في البداية أخبرها أنه أخطأ وأنه أخبر تلك الفتاة أنه يحب بلقيس وندم على مفارقتها ولكن في ساعه الحقيقة علمت أنه يكذب وأن تلك الفتاة هي من قطعت الوصال به.. عانت في هذه اللحظة كثيراً أكثر من قبلها.. تجرّعت كل كؤوس الخيبة وحدها لم ترد أن تشاطر أحد حزنها عليه وخيبتها وثقتها التي حصدتها صدمة. .إنظلمت كثيراً معه.. قصة بلقيس بعمر لوحدها رواية تَتطَلّب فصلاً كامل.

رغم كل هذا لم تتنازل بلقيس عن حبه وتنازلت أكثر من مرة لتسأل عنه وتحادثه..وثقت به لدرجه أنه دخل منزلهم يوما.. خرجت عائلتها فدعته ليحضر وحضر بالفعل ولكنه لم يتطاول في أفعاله كثيراً.

أحّزن حقاً لها.. لطالما كانت تظن به الخير فيكسرها وبعد كسره لها لا تتنازل عن حبه كانت دائما ما تقول:» أعلم أنني

أقطن في قطعة ما من قلبه هو لا يعلم ولكنني أعلم ولن أدعه حتى يعلم أن تلك القطعة لا تقدر على مفارقته.. فأنا أَهيمُ بِهِ حبّاً »

مسكينة بلقيس..

●●●

عندما تطوّرت قصتي مع يامن وبعد تجاوزي لحادثة والدي.. كنت قد تلوّثت فعلا. لم أصبح نقية كما كنت.. كنت على إتصال دائم بيامن علاقتي به لم تكن نهايتها الزواج ليس لأننا لا نريد ولكن لست أطمع بأكثر من علاقة.

لا أرفض الزواج منه فأنا أعشقه ولكن لكي لا يطير مالّاً مني لم أُرِد للأمور أن تزداد.. عندما تدخلت نهلة في حياتي.. أو بالأحرى عندما أدخلتها لحياتي كانت مثلي وكنت أعلم أنها ستسير على نفس الطريق بالضبط خصوصاً بعد علمي بخطوبة يامن.. قلقت عليها من أن تتألم مثلي في حال ما خطب أيمن.. فهو صديق يامن وقد يكون مثله كما هي نهلة مثلي.

ماذا لو خطب أيمن وتزوج بأخرى ؟؟ ، أقسم أن نهلة ستنتحر ولن تحتمل ألم فقدانه وأيضا إختياره لأخرى عنها.

تظن أنه يحبّها كثيرا لدرجة أنه لن يرى في الحياة غيرها وسيتزوجها.. كانت أفكارها بدائية جدّا. ولكن أنا لا أظن مثلها.. يامن أحبّني وكان يكنّ لي مثلما يكنّ أيمن لنهلة من حب ولكن كان النصيب أقوى وقد يكون حب يامن أساسا مزيّف ولكن لا داعي للتذكير الآن. .

حاولت حقا بأن أنصح نهلة كي لا تعبر هُدى الطريق الذي عبرته من قبلها.. عندما أخبرتني أن Xأيمن قد وعدها بأن يحضر لخطبتها بعد الدراسة.. صُعقت بل غِرّت. أنا ويامن لنا معاً أكثر منهم وكيف تنجح هي وأفشل أنا.. حاولت السيطرة على مشاعري ولكنني تهاونت ولم أقدر.

كنت سأخبرها أنه يكذب ولكن منعني ضميري. إستمرّت هي في الحديث ولكنني لم أعد أنصت تفرّدت بتفكيري لأفعل أي شيء قد يريح النار التي أشعلتها هي بنفسها داخلي. ..

هي أجمل مني بأشواط وتحب أيمن كثيراً ولكن لا يعني هذا أنه يحبها وأنه سَيَفِي بوعوده لها ويتزوّجها.. كنت أبحث عن طريقة لأكسرها ولكن بدون أن يعذّبني ضميري. ولكن هي صديقتي ولا أريد لها الإنكسار ، ، ولكنها هي من إفتعلت الحريق بداخلي وعليّ الرد

■ نهاد.. اتسمعينني ؟

■ آآه.. نعم اسمعيني جيّداً الآن. لا تصدّقي كل أقاويله

■ لا أفهم

■ أنا سعيدة لأنك ستخطين خطوة للأمام معه ولكن عليكِ أن تنصتي إلي جيّداً.. انتِ تسيرين على خطاي. لا أريدك أن تنكسري لا أقصد أنه قد يتخلّى عنك ولكن قد يتخلّى القدر عنكما معا ويكره النصيب رؤيتكما معا.

■ إذا ما الذي تقصدينه بالضبط ؟

■ عليك ضمانته

■ وكيف ؟! لا أحد يعلم ما بالغد من حوادث.

■ أعلم.. ولكن إن طبّقتي خطّتي ستعلمين كل شيء

كنت أعلم أنها ستطّبّق كل ما أقوله لأنها نوعاً ما كانت ثقتها بي كبيرة وكانت لا تأبه كيف ستصل له ولكنها فقط تريد الوصال.

■ ما الشيء الوحيد الذي قد يجعل الرجل متعلّق بالمرآة غير الزواج ؟

■ ليس وقتاً مناسباً لألغازك

■ حسناً.. سأوضّح لك أكثر. الشيء الوحيد الذي قد يضمن لك أيمن هو أن.. أن تتنازلي عن أنوثتك لأجله.

■ ماذا ؟؟؟ ما الذي تقولينه ! مستحيل

■ إذاً سيصيبك ما أصابني.. الحب ليس كافيا لضمانته

■ فليذهب للجحيم.. كيف تريدين مني أن أفعل شيئا قذر كهذا !! كيف سأخبره ؟

■ لن تخبريه بشيء.. فقط ستستدرجيه

■ وكيف سأستدرجه ؟

■ سأخبرك. .

●●●

أذهلتني بخططها للقائي به.. كانت تنظّم كل شيء لا أدري إن كانت فعلا تفعل هذا لصالحي أم إنها قد تفعل هذا فقط إنتقاما من يامن.

طلبت مني أن أقنع والدتي بأن تدعني أذهب معها لمنزلها – منزل نهاد – وهذا ما فعلته بالضبط ووافقت والدتي.. عُدنا

من المدرسة لمنزلها وفور دخولي أمرتني بأن أتصل به وقد إهتمت هي بالملابس.. أعارتني بعضاً من ملابسها لأرتديها

■ أيمن كيف حالك

■ بخير حبيبتي وأنتِ؟

■ بخير.. أشتاقك كثيرا أريد أن أراك

■ قريبا حبيبتي ستصبحين زوجتي

■ ما رأيك في أن نلتقي اليوم ؟

■ كيف هذا !!

أطلعته على عنوان منزل نهاد وحَضَـرَ ولكن خطة نهاد كانت بأن أذهب معه في السيّارة.. تفاجأ هو بدوره عندما رآني بهذه الملابس وأيضاً عندما ركبت معه السيّارة

■ نهلة. ما الذي تفعلينه !! عودي من حيث ما جئتِ

■ ما بالك ياعزيزي

■ ما الذي تفعلينه.. انزلي فوراً قد يراك أحد معي

■ أريدك أن تأخذني في نزهة إلى «منزلنا»

ورمقته بنظرة حادّة فإنصاع لأوامري وتحرّك بعد أن تلقيت منه حجماً لا بأس به من العتاب

■ « لقد وصلنا »، أوقف السيّارة أمام عمارة لم تكتمل.. نزلت من السيارة وتقدّمت إتجاه العمارة ونزل هو من بعدي « أين تذهبين؟ »

■ أستكشف

■ عودي هنا حالا قد يراك أحداً

■ فليكن

تابعت طريقي حتى قفزت من على السّور ودخلت لأرض العمارة.. أقفل بابه وتبعني للداخل. كانت كل حركاتي من خطط نهاد.. كنت لها الطالبة المجتهدة أنفّذ كل طلباتها حرفاً بحرف دون مجادلة.

إستدرجته حتى وصلت لمبتغاي.. أو دعوني أقول « مبتغاها – نهاد – »

بعد أن عاد لوعيه تجهّم وجهه ولم يصدق ما الذي حدث بالضبط.. كيف أنا البريئة أستدرجه لفعل قبيح كهذا !

أعادني لمنزل نهاد وجرّ معي الخيبة.. إختفى بعد هذه الحادثة من حياتي لأسبوع كامل تقريبا. خفت كثيراً حينها وأخبرتني نهاد أنه الآن في صراع مع ضميره وسيعود ولن يتركني. .

حاولت كثيرا الإتصال به ولكنها كانت تمنعني وإن أُتيحت لي الفرصة بالإتصال به لا أضيّعها ولكن لا ألبث حتى يزداد بي الوضع وجعاً..!.

حتى جاء اليوم الذي طلبت منّي نهاد إنتظاره.. إتصل

■ كيف حالك ؟

■ بخير.. أنا آسفة لم أقصد بأن. ...

■ إسمعيني جيّداً.. أنا أيضا أخطأت ولن أدعك هكذا. أخبري والدتك بأنني سأحضر لخطبتك

■ حقا ؟؟

■ أجل.. غدا إن شاء الله

لن يصدق أحد حجم الفرحة التي غمرتني من أطراف قدمي حتى رأسي.. حقّا فعل مثلما قالت نهاد.. جاء فعلاً لخطبتي وطلب من والدتي أن يعجّل موعد الزفاف ليكون بعد الإمتحانات لأسافر معه في بعثته ووافقت والدتي.. ودُفن ما حدث بيني وبينه وبين نهاد أيضا.

●●●

لا أدري ما حجم الجرأة التي تملّكتني حينها..

كنت أشتاقه حدّ الموت.. ولم يكن هناك أحد ليمنعني. جذبت هاتفي وكوّنت رقم هاتفه وإتصلت ولم يلبث أن إستجاب

■ نهاد كيف حالك ؟

■ حالي سيّء.. موجع حدّ الموت

■ ماذا هنالك !

■ لم أستطيع المكابرة.. فأنا أشتاقك كثيراً

■ وكذلك أنا

أحسست بالضيق بصوته.. لم أعد أحتمل «لم كل هذا التعقيد؟ يمكنك إنهاء كل شيء الآن»

■ ما الذي تقولينه !! لا أستطيع فوالدتها صديقة والدتي

■ وإن يكن.. ألم تكن أنت من يذم زواج « الصالونات » ؟

■ الموضوع معقد كثيرا.. أكثر من الصورة التي قد تخطر على بالك

■ حسنا.. زيجة تعيسة

لم اصدق أن دعوتي هذه كانت ستستجاب.. إن علمت حينها لكنت قد دعوت بشيء آخر كعودته إليّ مثلا أو أي شيء قد يعوّضني.. عودة والدي !

حين أخبرتني نهلة أن أيمن سيأتي لخطبتها وسيتزوجها بعد كل هذا.. كنت ابتعد عن الجنون بدرجة واحدة..

●●●

تزوّجنا فعلا. .. ولكن لم تكن هذه هي النهاية.. فهي البداية للمتاعب.

قد تظنون إنني سأبدأ فصلٌ جديد في حياتي مع أيمن – الذي كان عشيقي قبل زواجي – فصل يعمّ بالفرح والسرور ولكن ما حدث كان العكس، سافرنا بعد زفافنا بثلاث أيام.. هاتفت والدتي بالصباح وكانت تريد أن تسمع الأخبار ولكنني أجبتها الحقيقة التي لم تتوقعها « لم يحدث شيء»

■ ماذا ؟؟

■ هذه الحقيقة.. لم يحدث أي شيء

أغلقت الهاتف ممتعضة معترضة على كلامي غير مصدّقة، أقسمت لها ولكنها تمسّكت بموقفها

إعتقدت أن سفري معه لأميركا سيكون بوابة خير ولكنها آلت بعكس المتوقع – بالنسبة لي أعتقد – مرّ شهر وثاني ولم يحدث شيء.. كان يغادر صباحاً لعمله وأنا أخرج لأتجوّل إلى أن جاء يوم لم أكن أحسب له وقوع. كنت في شارع طويل يعجّ بضوضاء الحافلات وعربات الأجرة والخاصة أيضاً وكان على نهاية الشارع يساراً حديقة جميلة، شعرت بدوار حاد ورغبة

في القيء ولكنني كتمت رغبتي حتى أصل للحديقة ولكن قواي خارت. لم تعد لأقدامي القدرة على حمل جسدي.. شعرت به ثقيل كهل وزنه طن وقعت أرضاً ولم أشعر بشيء حتى وجدتني في غرفة بيضاء لا يوجد بها شيءٌ حي.. كانت تحتوي على أثاث فقط..

" GOOD MORNING" دخلت ممرضة

" WHAT HAPPEN? " أجبتها

" CONGRATS، YOU'RE PREGNANT " ■

" WHAT ?!! NO AM NOT " ■

" WHAT'S WRONG " ■

" ! CAN I LEAVE ? PLEASE " ■

" SURE ،YEAH " ■

عدت للمنزل مسرعة خوفا من أن أجد أيمن قد عاد ولم يجدني وقد يثير هذا فضوله فيسألني عن سبب تأخري.. لا أريد أن أخبره بأنني حامل، للآن!

أخرجت مفاتيحي من حقيبة يدي بتوتر.. أدخلتها وما أن أدرتها حتى كاد قلبي أن يتوقّف.. دخلت ولكنني لم أجده، تنفّست الصعداء ودخلت سريعاً لأغير ثيابي.. دخل بعدي بدقائق. لم أخبره بشيء عما حدث معي في وقت العشاء.

تغيّر كثيرا أيمن بعد زواجنا.. لم يعد أيمن نفسه الذي كان يعشقني ويحبّني حدّ الجنون، فكّرت كثيراً في إخباره لعلّ هذ الخبر يعيده كسابق عهده ولكن قد ينزعج ويطلب مني

إجهاضه لأنني حملت به قبل الزواج.

حاولت إخفاء هذا الخبر ولكن نمى الجنين برحمي سريعاً.. لم يعد بإمكاني إخفاءه وإستمرّت الشهور جيئةً وذهاب إلى أن دخلت بشهري السادس وعلم هو حينها.. كنت نائمة على الفراش بعد أن ايقنت أنه غادر الشّقة. أخذت راحتي بالنوم ولكن أيقظتني يده على معدتي !

فزعت ونهضت مسرعة محاولة إخفاءها ولكنّ الآوان قد فات حينها.. فقد علم بما أخفي من شهور

■ لماذا لم تخبريني !؟ في أي شهر الآن ؟

■ السـ..السادس

■ ماذا ؟؟ طيلة هذا الوقت وانا غافل !! لماذا لم تخبريني ؟

■ لأنك ستطلب مني إجهاضه

■ أفعلا تريدين أن تحملي بطفل غير شرعي !؟

■ هو طفل ولم يكن خطأه.. ما علينا فعله الآن أن نحسن علاقتنا معا حتى يولد هذا الطفل في عائلة مستقرّة

■ كانت كلها لعبة من تخطيطك.. أخبرتك أننا سنتزوج فقط لو لم تفعلي ما فعلت. .

وإنهار أمامي يبكي، إن كان أيمن من يبكي ما الذي عليّ فعله إذا؟ حقا قست علي الآن الحياة.. خفت من دموعه لم أعد على مقدرة لأدرك إن كان جيد المزاج أم لا !

سينهض الآن ويضربني بالتأكيد فجريمتي لا تغتفر ولكن

لا داعي للخوف فأنا الآن لا يمكنني العودة في قرار إتخذته. .

■ "سامحني يارب سامحني أرجوك لم أنوي أن أفعل ما فعلت.. كرهت نفسي على ما فعلت"

كان صوته كالطفل الباكي لوالدته قد تلقى ضربات موبخة بالمدرسة.. إقتربت منه حاولت أن أحسّن الوضع فعلا ولكنه تجاهلني تجاهلا تام..لممت ما تبقّى لي من كرامة وخرجت، تركته وشأنه.

لم أعد أنا أيضا أشعر بإتجاهه كما كنت.. فلقد ساءت معاملته معي كثيراً مؤخرا وبالتأكيد ستزداد، إتصلت بنهاد لأخبرها بكل ما حدث

■ نهلة ! كيف حالك ؟ لم أسمع خبر عنك منذ أشهر

■ أجل أعلم.. والآن جئتك محمّلة بالعديد من الآخبار

■ وأنا أيضا.. أطلعيني على ما لديك

■ أنا حامل

■ هذا جيّد جدا.. ولما هذا الضيق في صوتك ؟

■ أنا حامل بسبب ذلك اليوم

■ مستحيل.. أنتِ مخطئة

■ لا لست مخطئة.. فأيمن لم يقترب مني منذ ذاك اليوم

■ يا ويحك !! وفي أي شهر

■ السادس

■ توخّي الحذر ولا تخبريه حتى يقترب موعد الولادة

■ عَلِم لوحده وبكى كثيرا بسبب هذا الخبر الشنيع

■ لم البكاء؟ هذا إبنه ومن حبيبته، ألست أنتِ حبيبته !

■ لا أعلم.. حقا لا أعلم، على كلٍّ ما هي الأخبار التي تحملينها !

■ علمت أن قريبة أيمن متيمةٌ به وهي تنتظر عودتك لكي تفسد علاقتك مع أيمن بكل الطرق.. تزوّجت من صديق أيمن لكي تعلم عنك أي أخبار وتنشرها

■ فلتفعل ما تشاء.. زواجي لن ينجح على كلّ حال

■ إفهمي.. حين أختفى أيمن ذلك الاسبوع بعد الحادثة كان يبحث عن من يشارك ذنبه لكي يخفف عن وزره قليلا.. فأخبر بلال – صديقه – وبلال تزوج بقريبة أيمن لأنه يحبها وهي تحب أيمن.. الموضوع معقّد كثيرا.. بلال قريبي من ناحية والدتي وهو متيم بقريبة أيمن وقريبة أيمن متيمة بأيمن وفقط تزوّجت بلال بعد أن لاحظت الحالة التي تحوّل عليها أيمن بعد ما جرى لكي تعلم عنك أي سر.. أرجوك نهلة كوني حذرة !

■ حقا أخفتني، أعليّ أن أعاتبه على إفشاءه للسر ؟

■ لا ، ، لا تخاطبيه عما جرى وحاولي أن تحسني علاقتك به فعلاقتكم زادت بإبن أو إبنه وعليك المحافظة على زواجك

إنقطع الخط.. يا إلهي ماذا لو أخبرت والدة أيمن مثلا !؟ من الجيّد أننا هنا وسنبقى هنا لمدّة من الوقت وقد تتناسى هي موضوعي

●●●

حان الوقت.. وقت الولادة، حاولت في التفكير في أي

شيء قد يبهجني مثلا كفرحة والدتي بالخبر وفرحة والدة أيمن أيضا ولكن سرعان ما تغيّرت هذه الافكار الجميلة إلى مؤلمة.. ماذا لو علموا بكل ما حدث ؟؟ ماذا لو قريبته أخبرت والدته بكل شيء عند سماعها بخبر ولادتي.. ليس شرط من أن تنتظر عودتي حتى تنشر الخبر.. أخذتني الأفكار بعيداً جدّاً حتى جاء صوت الممرضة قاطعني

■" LET'S GO، MAMMY "

أحقا سأكون أم ؟؟ ههه! ترهات لن أشعر بالأمومة. حقا إحتفاظي به كانت غلطة

دخلت حجرة خاصّة وإرتديت ثوب أزرق اللون ودخلت حجرة العمليات.. أجوّل نظري بين الأدوات الحادّة.. حقا حادّة، أردت العودة في قراري فلقد قررت أن تكون الولادة قيصرية..

بعد أن أخذت جلستي على الفراش وكانت حقنة المخدّر قريبة من أن تخترق جلدي شعرت بإنقباضات ولكنني تجاهلتها.. فسّرتها أنها أعصاب فقط وخوف ولكن إزدادت حيناً بعد حين وألم أكثر من السابق حتى صرخت.. نظروا إلي جميعاً وقد بدأت بالمقاومة وكتمان صوتي النابع من داخلي الدال على آلم شديد، تكلم الدكتور بكلمات لم أفهمها حينها أسندوني حتى أنهض وغيرو الفراش فأدركت أنني سأخضع لولادة طبيعية.

كانت حقا مؤلمة ولادتي بإبنتي ولكنّي لم أقاوم الإبتسامة حين سمعت صراخها باكية بشدّة.. حاولت أن أراها. كانت

مقلوبة وتبكي وملطّخة إبتسمت وعدت لإستسلامي ولم أشعر بشيء نعمت بنوم هادئ.. إستيقظت بعدها بساعتين وجدت أيمن جالس على كرسي بالقرب مني وكان يردّ على مكالمات المباركة وكان يدّعي الفرح.. كانت شفتاه مبتسة ولكن عيناه منكسرة. بها شيء يدّل على حزن. .

■ أيمن

■ نعم

■ أين هي ؟

■ سيحضروها..تحلّي بالصبر فأنا أيضا لم أرها بعد

■ ماذا سنسمّيها !

■ لا أعلم.. ياسمين ربّما

لم أشعر بأي شيء تجاه الإسم.. لا أعني كأمومة ولكن لم أشك أن هذا الإسم يعني لأيمن شيء في ذاك الوقت.. سمّيت ياسمين بياسمين.

أدخلوها لغرفتنا ونهض أيمن مسرع ليمسكها " تشبهني.. ملامحها مجرّدة من العروبة "

وضعها بالقرب مني على الفراش.. لاعبت أنفها الصغير فرحة ولم أنتبه أن أيمن قد خرج.

●●●

■ سنعود

■ ماذا؟ لماذا؟ لا أريد العودة

■ سنعود لأن سنة الإفاد إنتهت مهلتها ولن أقدر على

مصاريف العيش بهذه الطفلة

أرعبني الخبر.. كنت أعد الملابس وأرتّب الشّقة وأنا أفكر مراراً وتكراراً بالذي سيحدث !

■ أيمن

■ ماذا؟

■ إحدى أقربائك تزوجت مؤخرا من أحد أصدقائك

■ حسنا. .

■ ما إسمها ؟

■ لماذا !

■ مجرّد سؤال

تمّنيت أن لا يفضح سؤالي أفكاري.. ولكنه أجابني بلا مبالة أدركت بها أنه لم يكشفني

■ خديجة

أومأتُ برأسي وتابعت القيام بما أقوم. .

●●●

بداية زواجي ظننت أنه بداية التعاسة ولكن بعد ولادتي أدركت أن هناك وجوهٌ أخرى للتعاسة.. ولكن جلّ التعاسة كانت في عودتي للوطن.

أقامت والدته مأدبة على شرف " ياسمين " وقد حضرت العائلة بأكملها.. بمن فيها " خديجة "

لا أعرف شكلها ولكنني توخّيت الحذر وقرأت النظرات لعلّ وعسى أجد نظرة تفشي كره أو شيء من هذا لجلسنا

على سُفرة الطعام جميعاً كانت طويلة.. كلٌّ قرب زوجته وأنا وأيمن لم نكن نجلس بالقرب من بعض.. مما أطرأ على البعض الشكوك.

إنطلقت مسرعة لأحضر ياسمين بعد سماعي لها تبكي.. أخذتها وأجلستها بحضني وتابعت أكلي غير مبالية بالنظرات التي تُلقى علي.. إكتشفت على هذه السُّفرة من هي خديجة وأيضاً أين هو بلال.. لن أتمكّن من أن أرفع بصري وأخاطب أعينهم بعد معرفتي أين هم بالضبط وأيضا نظراتهم كانت تحتقرني تلاحقني حتى تجردني من كل شيء وتفضحني.. أحسست بنفسي أنني مكشوفة للجميع راودتني شكوك أن " خديجة " قد أفشت السر.

بعد الغذاء جلسنا كعائلة مجدداً وبدأت الأحاديث تأخذ مجالاً عن كل فرد.. إلتزمت بالصمت وإلتزمه أيمن كذلك والإرتباك الذي كان ظاهرا جدا على وجهه حين علم أن بلال قد تزوج بـ خديجة وقد يكون أخبرها..

بدأت خديجة تلمّح " سمعت بإحدى القصص.. فتيات صغيرات بالسن لسن تحت المراقبة يجولون الأزقّة والشوارع باحثين عن الرجال.. وإحداهن قد حملت بالخطأ "

بدأت الأصوات تخرج وتعترض على هذا الكلام ولكنها أكملت بثقة " أيضا كانت قاصدة لهذا الحمل وتزوجت من الرجل طمعاً فقط " ونظرت إليّ..

■ " حقا سيئات.. ولكنّ قد يكنّ فعلا غير قاصدات السوء لربما هناك أحد ما أثرّ على أفعالهن ولربما كان الخطأ من

الرجل نفسه " أجبتها،

■ لا، لا أعتقد هذا حقّاً.. ما رأيك أيمن ؟

■ هاه !! ماذا؟ وما شأني بهنّ؟

■ أليست زوجتك من فعلت هذا؟

شهق الجميع وصُدم وعمّ الهدوء أرجاء الغرفة.. ما الذي تقوله؟ كيف تجرأين على إتهامها؟ خديجة أصمتي !

نهض بلال وخرج ولكن أيمن أمسكه من كتفه وضربه وأوقعه أرضاً "لماذا ؟؟" صرخ أيمن بوجهه وكان يبكي ولكن حين مشاهدتي لهذا إنتبهت أن الجميع كان ينظر إليّ ولم يلحظو ما الذي فعله أيمن.. إرتبكت أكثر وحاولت الخروج من الغرفة.. نهضت وكنت سأخرج بسرعة ولكني لست بسرعة كلمات خديجة "لماذا الهرب؟؟ يمكنك الإنكار إن كنت مخطئة "

إلتفت لها وأنا أبكي.. كانت الدموع تسقط على وجنتي منذ البداية وتجوّلت بنظراتي لأتفحّص الجميع لعلّ هناك أحد لا يصدق ولازالت نظرة الصدمة تكسو وجهي ولكن جميع النظرات تحوّلت لنظرات إحتقار.. كالتي حملتها لي خديجة على السُفرة.

■ أنتِ ك..

إنهرت باكية ولم أستطع تكذيبها.. أيقن حينها الجميع أنها تقول الحقيقة. شعرت بالذل والإهانة حينها.. إقتربت مني كفاية والدة أيمن وهي تبكي أيضا " لمَ يا بُنتي؟ "

■ سامحيني أقسم لك أنه لم يكن سهل ليّ أيضا وأنها وساوس وساعة شيطان لعينة

لم تكتفي خديجة بالخراب الذي تسببته وأكملت " وياسمين أيضا.. إبنة غير شرعية أو دعوني أقول مولودة بالحرام "

■ كفاك خديجة يكفيك ما تسببتي به

صاح بها أيمن وإتجه لوالدته ليقبل يدها ويطلب منها السماح ولازال الجميع جالسٌ ومصدوم بهذه الحقيقة.. حياتي دمّرت حقاً.. وبين صدمتي والجميع وبكاء أيمن ورفض والدته لمسامحته إلا في حالة طلاقي.. نهض بعد جثوّه على ركبتيه ورمى يده على خدي.. صفعني على وجهي بكل ما أُوتيَ من قوّة حتى وقعت أرضاً ووقعت ياسمين من بين يدي.

■ أنتِ طالق.. طالق.. طالق !

هذا ما أرادته خديجة.. طلاقي من أيمن. من حبّ طفولتها، أرادت هذا وبشدة وهي على إستعداد أن تدفع نصف عمرها لتراه

●●●

قد تقسو عليك الحياة.. وأيضاً قد توصد كلّ أبواب النجاة بوجهك. ولكن هناك نافذة دائماً

نافذة دائما ما نتجاهلُها لأننا نعتقد أنها صغيرة كفاية لتمنعنا من العبور من خلالها.. ولكن فقط إن نظرنا إليها بعناية وتأمّلناها. فقط لو منحناها نظرة سنجد أنها كبيرةٌ كفاية لنعبرها وأكبر أيضاً من كلّ الأبواب.. فقط أنظر ولا تفقد منها الأمل أبداً ولا تقلل من إحترام هذه النافذة فقد تكون المنجية.. لطالما أنت منتظر الفرص.. إنتهز كل الإتاحات التي قد توقفك مجدّداً على قدميك إجعل هذه

النافذة الصغيرة معبرك.. فقط حاول فلن تخسر شيء من المحاولة أبداً

وهذا ما فعلته أنا. ظننت أن حياتي قد تنتهي بعد طلاقي وفضيحتي وسفر أيمن وأخذ ياسمين معه لأميركا..

ظننت أن حياتي إنتهت ولكن لم أفقد الأمل.. عدت للدراسة ودخلت الجامعة إخترت تخصصا آخر غير الذّي إتفقت عليه مع نهاد وبلقيس. لا أريد رأيتهن يكفي ما حدث من إصغائي المستمر لهن جميعاً.. أحسست وكأنني دمية في أيديهن.

●●●

لم تعد علاقتي بوالدتي كالسابق.. ثقتها بي قد هُزّت كثيراً كانت دائما ما تخبرني أنها ترى خلف عيناي مستقبلا زاهراً ولكن الآن بعد طلاقي الذي تحصّلت عليه وأنا بالقرب من العشرين ربيعا وفضيحتي تخلّت عن رأيها..

لم أعد أماً كما كنت.. فلن أعرف ما هي بالضبط نظرتها لي بعد خذلانها. فقط أنا التي أعلم أن لدي إبنة ما على بقاع هذه الأرض وأسمها ياسمين ولكن بالتأكيد الآن ياسمين تعتقد أن زوجة أبيها والدتها وأن إسمها جاسمن بعد العمر الذي ستعيشه بأميركا مع والدها ووالدتها الجديدة وبالطبع لن يخبرها أبدا أن أم أنجبتها إسمها نهلة.. أخذها أيمن مني وتزوّج بأخرى أمريكية وإستقرّ بأميركا ليبعد عني ياسمين كلّ البعد.

سأكون أنا المقطع المجهول من عمرها لربما عند بلوغها لسن الرشد ستبحث حقا عن والدتها الحقيقية.. لربما فقط

ستسأل أيمن عنّي ستعلم من تلقاء نفسها أن التي تربت على يديها لم تكن والدتها الحقيقية ولربما أيضا تعود للوطن باحثة عن رماد والدة لن يعلم بشعورها إلا الله !

لا أملك لها صورة غير التي أحملها بقلبي وعقلي.. لعلّني يوما ما ألقاها وأعاينها بالتي حملتها لها عمراً.. قد أكون قاسية أو متحجّرة القلب ولكن. .ما حدث لي كفيل بقتل كل إحساس أملكه الآن.

بالجامعة التي دخلتها.. رأيت أكثر من ثنائيٍّ واحد يجوبون الجامعة معا ممسكين بأيدي بعضهم البعض خائفين من الفراق متأمّلين توقف الزمن على هذه اللحظات.

كنت وحيدة.. لم يصادقني أحد ولن أحاول حتى مصادقة أحد. بدأ إحساسٌ ما ينتابني أنني أفضل من الكل وأنني ضحية ولولا الحادثة لكنت في مكان آخر.. لا أدري أين لربما كان مع أيمن وأجمل لحظاتنا أو لربما كان بجامعة ما في دول العالم المتقدمة.. لا أدري ولكن أيقنت أنه لو عاد بي الزمن سأصحّح كل شيء وسأكون في مكان آخر.

●●●

صباحاً أصارع طريقي للجامعة ومساءاً أبحث عن عملٍ ما لأجد النقود لشراء الكتب وما أحتاج إليه ولكنني في كل مرة أعود بنفس الخيبة فألجأ لوالدتي لعلّها تحن وتساعدني ولكنها صلبة ثابتة على كلامها. .حينها فقط بدأت أتصرف بشكل مغاير جدا عن مكنونتي.. بدأت أستغل الشيء الوحيد الممكن، إستغللت جمالي لأحصل على النقود ولكن بطريقة

شريفة، ههه ما أعنيه أنني أغري عارض الوظيفة وأسدل شعري على أكتافي لعلّه يهتم بشكل مكتبه ويوافق ولكن أيضا هذه المحاولات بآءت بالفشل فلملمت نفسي وتعهّدت أن لا أعيدها مجدداً.

شعور لا يحسد عليه حقا.. أحتاج للنقود لشراء الكتب ولكن ليس بحوزتي ولا أعلم أحد يمكنني الإلتجاء إليه.. حقا لدي " سونيا " بالتأكيد ستساعدني.. أخبرتني أنها تحبني بالتأكيد،

كوّنت رقمها ولكن كان التسجيل الصوتي المجيب " اهلا.. هذا رقم سونيا عبدالكريم أنا مشغولة بتحضير زفافي ههه حقا فَرِحَة على كل حال سجل رسالتك بعد سماع الصافرة "

" أهلا سونيا.. أنا نهلة لم أعلم بشأن زفافك مبروك، سونيا. ... أنا حقا أحتاجك في حالة سماعك لرسالتي هاتفيني.. سلام "

تمنيت أن أكون قد أوضحت لها أنني بحاجة ماسّة لها ولكن لن أتمكن من طلب النقود منها فهي أحوج بها لنفسها في زفافها أما أنا ! لا أعلم. قد ترفض أيضا لأن المدة التي لم أذكرها بها كانت جداً طويلة.. ولكن لعلّ قلبها أبيض ناصع حقا وتغفر.

كثُرت التساؤولات بعقلي.. لماذا لم تخبرني؟ أَوَ تراها تزوجت فعلا ولكنها لم تغير التسجيل؟ أيمكن أن يكون العريس الرجل الذي أخبرتني عنه مسبقاً ؟

كانت لدي رغبة ملحّة في أن أكتشف.. فضولي دفعني خارج

المنزل أعبر الشارع أوقف سيّارة أجرة وإذ بي أخبر السائق العنوان وأصل أمام بيتهم. زيّن بخيوط طويلة من الأضواء المبهجة دخلت وكلّي توتر وتمكّن مني هذه المرة حقا.. وجدت باب الفناء الخلفي مفتوح فتسلّلت منه ودخلت للمنزل وجدته مزدحم يضجّ بالنساء والأطفال.. متبرجات ومتزيّنات فنظرت لنفسي وجدتني بهيأة لا تليق.. أخذت خطوات بالتراجع ولكنني صُدمت بخالتي " نهلة ؟!.. ما الذي ترتدينه؟ "

إبتلعت ريقي وكأنه ماء نار.. ظننت أنها ستطردني لتطفّلي وتجمّدت كتمثال أمامها وهي حائرة " أين والدتك؟ أأحضرت ما أوصيتها بإحضاره ؟" قاطعتني ،

■ لا أعلم.. أعتذر علي الذهاب

وخطوت بسرعة لكي أنفذ بجلدي ولكنها تبعتني وأخذتني من يدي وصعدت بي لغرفة سونيا لتجد ما يناسبني إرتداءه أخرجت ثوب وحذاء كعب عالي " هيا.. أسرعي فسونيا على وشك الوصول "

■ خالتي. !.

■ نعم ؟

■ لا أستطيع.. أعتذر

■ لا تستطيعي ماذا؟

■ لن أتمكن من مواجهة نظرة الكل لي بعد إن إنتشر الخبر بسرعة

عادت لتجلس بجانبي " ليس لدينا الوقت لهذا النقاش.. من أحضرك؟ أين هي والدتك؟ "

■ لا أدري.. لم أخبرها بحضوري

■ حسنا هيا إستعدّي ودعك من هذا الهراء.. في كلّ هذا الكوكب نحن متهمون ليس هناك بريء ولكن هناك من يرتدي قناع البراءة وهناك الصادق الذي يتحلّى بالشفافية فيسقط القناع عمداً. .

■ ولكن أنا لم أسقطه عمداً..!!

■ ولكنه سقط.. هيا إجهزي

خرجت خالتي مسرعة لكي لا أزداد بالحروف تلبّكاً.. أخذت الثوب أتفحّصه، كان الثوب نفسه الذي إرتدته سونيا بزفافي.. إحتلت معالم وجهي إبتسامة جافّة ممتلئة بذكريات قد تقتل إن أصابت ضعيف. .

أحقا ؟؟ ههه أصابت ضعيف !! بجميع الجمل لا أتّصف بشيء غير الضعف.. إذا كنت حقا قوية لواجهت طلبات نهاد التي رمتني في أراضي ما وراء الشمس. لتمكّنت من المحافظة على أيمن ولكنني خسرت.. حاولت أن أقاطع أفكاري فنهضت وإرتديت ملابسي و مشطت شعري القصير لم يكن مهم بالنسبة لي فهو قصير ومموج وله مظهر جميل أحيانا ومن حظي الآن هي أحيانا.

نزلت الدرج وبيدي الحذاء وعند ملامستي لأخر درجة إرتديته وذهبت أبحث عن خالتي فلم أجدها فذهبت لإستقبال النساء بالغرفة المجهّزة لهن.. كان منزل خالتي حقا كبير وكانت تخصص غرفة لمناسبات كهذه.. وقفت على الباب أتلقى هدايا الزفاف وأضعها على الطاولة القريبة مني

وعند توقف النساء عن الوفود أخذت كرسي وجلست لأُريح قدماي.. وما إن لمحت مرأة قادمة حتى عدت لأقف مجدداً وإذْ بها والدتي. .

■ ما الذي تفعلينه هنا ؟

لم أجب عليها وقفت مصدومة لصدمتها ولتعابير وجهها، أمسكت بعضد يدي جيداً وجرّتني معها حتى الفناء وأخذت تشتمني وتصيح " من أخبرك أن زفاف سونيا اليوم ؟؟ من أحضرك ! تكلّمي "

لاحظت بعض النساء المارّة صياح والدتي فخرجن لفحص الوضع ودخلن مسرعات بعد كلمات أمي وتعابيرها الحانقة ولم يلبثن حتى أخبروا خالتي وجاءتنا مسرعة " ماذا هنالك؟ يكفيكن خصام اليوم نحن هنا لسونيا ورجاءاً منكن أي مناوشات بينكن مكانها البيت ويكفيكن مظهر سيء أمام الناس "

إستولى السكون على والدتي ولكن كلاميّاً فقط.. فلا زالت تتنفس بسرعة ملهثة للنيران بداخلها دخلت بغضب شديد صدمتني بكتفي ولم تلتفت.

دخلت بعد النظرات المعاتبة المتلقيّة من خالتي وبدأن النساء بإطلاق الزغاريد لوصول سونيا حاولت ان أصمد وألا أبكي لرؤيتها ولكنها كانت جميلة جدا إقتربت منها وإحتضنتها وإذ بها تدفعني عنها بكل ما أُوتت من قوّة حتى وقعت أرضاً.. عمّ الهدوء على الكل والدموع على وجنتي تسقط

■ "ما الذي آتى بكِ؟ أنتِ كافية لإزعاج الكل بحضورك..

هيا إذهبي لا أريدك“

نهضت مسرعة وصعدت للطابق العلوي، أعدت إرتداء ثيابي وخرجت خلسة مثلما دخلت بالطبع لن تواجهني خالتي وتعتذر.. قد تكون وجهة نظرها هي الأخرى ولكنها أرق من قولها.. كان الظلام على وشك الحلول. الشمس عالقة بين ذهاب وبقاء في منتصف السماء وهي أيضاً تشعر بالأسى لحالي منطفئة قليلة التّوهج.

عبرت الأزقة وحدي وأنا أبكي ما الذي عساي فعله عند طرد العالم أجمع لي.. إنعزلت عن العالم أجمع فقط أسير ولا أعلم أين أذهب وما علي فعله.. حتى إنتبهت لصوت توقف سيّارة مسرعة وأنا أعبر الشارع، توقفت حائرة كيف لم ألحظها أحقا لهذه الدرجة أغرقتني أفكاري !!

جاء الشاب من السيارة " أأنتِ بخير؟ أنا آسف.. أتحتاجين الذهاب لمشفى "

■ أشكرك، لا أحتاج

وتابعت سيري ضامة نفسي لنفسي.. فإقترب هو " آنستي.. يا آنسة "

لم أنتبه له حتى وقف أمام وجهي " لا يمكنني تركك وحيدة والظلام قد حلّ.. وبالطبع لن تصعدي معِي للسيارة سأتبعك بالسيارة حتى تصلي للمنزل، أهذا جيّد؟ "

إبتسمت موافقة وتبعني بسيّارته ولكنني توقفت فجأة لا أعلم أين أنا ولا أعلم كيف أصل للمنزل وكان الظلام حالك والشارع خالي.. عاد إلي مرة أخرى " ماذا هنالك؟ "

■ لا أعلم أين المنزل.. ولا أعلم أين نحن وكيف أصله

■ أرجوك إصعدي معي ولا تقلقي سآخذك لمنزل والدتي وإتصلّي بوليّ أمرك ليأتي لإصطحابك

وافقت وصعدت فلن يصيبني أي شيء أسوء من الذي قد أصابني.. عند صعودي بدأت قطرات مطر قليلة تهطل لتعقّم الجو ولكنها لم تدم طويلا فقط لنصف ساعة قطرات خفيفة.

■ "ها قد وصلنا.. "

إلْتَفَت للمقاعد الخلفية وأخذ المظلّة " تفضلي حتى لا تبللي ثيابك "، أخذتها وأنا أنظر لوجهه نظرة تسأله ماذا عنه فأجاب بدون أن أطرح سؤالي " أنتِ أهم فهذا منزلي وملابسي بالداخل "

نزلت من السيارة ولا أعلم ما قد تخفيه عليّ هذه الخطوة وهل حقا والدته بالداخل أم لا.. دقّ الباب فلم يستجب أحد فأخرج مفاتيحه وفتح الباب " تفضلي " قالها بعد أن فتح الباب على مصرعيه.. دخلت بخطوات خفيفة قريبة مرتجفة، أوصد الباب خلفي وتقدّم خطوات يبحث عن أحد ما وانا لازلت واقفة مكاني أنتظر الإذن.. دخل لحجرة ما على اليسار فخرج بعد دقائق وطلب مني أن أدخل.

أثناء سيري لم أتجرأ على رفع رأسي لمعاينة المكان لأنه كان ينظر.. ولكن عند دخولي لمحت ظل آخر غير ظلّه.. رأيت من هناك فكانت إمرآة في منتصف الخمسينيّات تقريبا وفتاة شابّة "تفضلي بالجلوس وها هو الهاتف إتّصلي بمن شئت لإصطحابك " جاء صوته مقاطعا نظراتي.

بمن سأتّصل؟ والدتي ! أحقا ستأتي من أجلي بعد حادثة الزفاف.. أوَ يمكن أن تحضر فعلا وتترك الزفاف من أجلي، هه لا أعتقد أخذت سمّاعة الهاتف وكوّنت رقم خالتي فلم تجب.. سمح لي أهل البيت بأن أحاول مجددا.. حاولت مجدداً الإتصال بخالتي فأجابت في آخر رمقٌ من المكالمة

■ ألو !

■ خالتي.. هذه أنا نهلة

■ ماذا هنالك يا نهلة؟ رقم من هذا !

■ أنا تائهه وأحتاج لمن يقلّني و.. ..

أقفلت الخط بوجهي.. " ألو ألوو خالتي ! " إرتبكت فلم أشأ أن أخبرهم بأنها أقفلت الخط فتابعت

■ أنا هنا في منزل أسرة تقطن بمنطقة " حيّ دمشق "..

حسنا أي وقت أرجوك لا تنسي

وأغلقت الهاتف.. نطقت والدة الشاب أخيراً قائلة " عزيزتي إن الوقت الآن في منتصف ليله.. فلتبيتي هنا الليلة وصباحاً تفرج بإذن الله "

■ أحقا يمكنني ؟

■ أجل بالطبع.. هذه إبنتي متزوجة آتت لزيارتي وللمبيت ولديّ إبنة أخرى إسمها بلقيس ستأتي حالا

دخلت بلقيس بعد كلام والدتها وإذ بها بلقيس بلقيس صديقتي.. صدمت من رُأيتي " نهلة !! "

■ بلقيس.. أهذه أنتِ حقّا ؟

■ أين كنتِ كلّ هذا الوقت !

حضـرت بلقيس للجلوس بجانبي وعلـى وجهها إبتسامة تسألني عن حالي وكلّ شيء وأخبرتني أن نهاد بحثت عنّي ولكن والدتي أخبرتها أنني بأميركا

■ أرجوك بلقيس لا تخبري نهاد بأي شـيء

■ حسنا حسنا.. إتبعيني لغرفتي

" أرى أنكن صديقات.. هذا جيّد " كان أخ بلقيس من تكلّم. لم نجب عليه أنا وبلقيس وذهبنا

أدخلـتنـي لـغرفتهـا ، اعـارتـنـي بـعـضـاً مـن مـلابـس نومها وأخبرتني أن أتصـرف وكأنني بمنزلي وبـدأت بالكلام عن أخبار باقي الفتيات

■ "لن تصدّقي ما حـدث.. هناك الكثير والكثير نورهان إفتعلت نقاش حاد مع شادي ولم يخاطبوا بعضهم منذ أشهر عـدّة، ونـوران أيضا أخذت هاتفها وحُسين قد أخبر والدته بأمرها وأصبحت دائما ما تهاتف نوران وتسأل عن أحوالها وأيضا حُسين قد تحدّث مع أبيها بشأنها ههه ظننّا في بداية الأمر أنه يتسلّى فقط، وأمّا نهال لم يجرى شـيء جديد معها وإبن عمّها ولكن كلّ الحديث الشيّق يكمن عند نهاد.. أتريدين النوم وتأجيل الحديث !"

■ لالا أكملي رجاءاً

■ "حسنا.. جاءت نهاد ذات صباح بالجامعة وكانت في قمة الغضب والحزن في آنٍّ واحد ولم نعلم ما الذي حدث بالضبط. لم تشأ أن تخبر أحد حتى هدأت فأخبرتنا أن زفاف يامن

قريب إنهارت جدّاً حقا أصبحت ضعيفة لا تقاوم كعادتها.. ضاعت منها نفسها بسببه وقالت أنها أيضاً أحسّت بالذنب إتجاهك"

صعقتني بكلامها.. أيمكن أن تكون نهاد قد أخبرتهم؟ لا لا مستحيل، تابعت قائلة

■ قالت إنها السبب في تعرّفك بأيمن.. حقا أين هو الآن ؟

■ أيمكنك المتابعة لا أرغب في الإجابة

■ "حسنا أعتذر.. أين وصلنا؟ أجل أجل تزوّج يامن منذ شهر تقريبا ولم تحزن نهاد كالسابق.. هاتفها بعد زواجه عدّة مرات وأخبرها أنه يشتاقها وأنه أخطأ حقا في زواجه وأنه نادم جدّ الندم على أنه تعلّل بأنه لن يستطع العودة وفسخ الخطوبة.. بالأمس علمت بخبر قد يقتلها إن تأكدت منه لا أدري من أين علمت ولكنها علمت بأن زوجة يامن حامل "

■ حامل !!.. يا له من محتال. كيف يخبرها أنه نادم ولكن زوجته حامل.. حقا لا أمل في الرجال أيقنت انه لا يحبها كما كان يقول بعد كلامك هذا

■ حقيقةً لم يحالف الحظ واحدةً منّا غيرك فلقد تزوجت أيمن وأوفى بوعده

صمتت للحظة ثم تابعت.. " أين هو؟ لقد أخبرتك بكل شيء والآن دورك "

■ في اميركا

■ حسنا.. تابعي

■ حـدث خـلاف كبير بيننا وأردنـا بـأن نحتفظ بالسبب الـرئـيسـي. أنجبـت منـه ياسـمـين أخـذهـا هـو وتـزوج بـأخـرى وستتربّي ياسمين معها بالخارج

■ حقا من المؤسف بأن تنتهي علاقة حب صادقة كعلاقتكم انتِ وأيمن بهذا الشكل.. إذا كنتم هكذا فكيف أنا وعُمر ؟

■ كيف هو حقا ؟!

■ لازلنا على تواصل. نتمعشق تارة ونتخاصم تارة علاقة مجهولة المعالم لا أحد يعلم بصدق مشاعر الآخـر بإتجاهه ولكن عند لقاءنا نلتقي وكأننا من أكثر المحبين في العالم صدقا

■ والآن في أي محطات تقنطون ؟!

■ نتخاصم كثيرا مؤخرا على أتفه الأشياء.. لسنا نتعمد ذلك ولكن تُفتعل المشاكل بدون سبب حاولنا أن نَعِد بعضنا البعض بأن نتجنب المشاكل لمدة عشرة أيام ولكن المشاكل لم تصمد لساعات حتى عادت وهلّت مجدداً

■ لا تدري.. لعله يحدث أمر جيد يعوض عن كل هذا

●●●

صبيحة اليوم التالي كانت والدة بلقيس قد جهّزت الفطور وإلتم عليها أبناءها واحـداً تلو الآخـر يقبلون يديها ورأسها ويدعون بأن يطل الله بعمرها.

رغم كل الخلاف بيني وبين والدتي لا أعتقد أنني أشتاقها.. وماقبل الخـلاف أيضا لا أعتقد أن علاقة وثيقة من الحب تجمعني بها كالآخرين.. الكل يدعوا للأمهات ولا أدري إن

فعلا قاصدين الدعاء أم فقط تمثيل.. إن كانوا حقا يعشقون والداتهم بهذا القدر الذي يخبروا الناس به أم لا

على كل حال أنا لم أحصل على هذه المشاعر إتجاه والدتي من قبل لأنها دائما ما تجاهلتني وهذا الذي أودى بي للهاوية.. !

كان والدي أشد إهتماما بي منها.. لم يكن بالمقدار الكافي ولكنه كان مقداراً أفضل من لا شيء.. بعد وفاته شعرت بالفراغ كنت أحتاج والدتي حينها حقا لتحتويني ولكنها لم تحاول حتّى.

لن أرفض المجاراة في أنها أيضا إحتاجت ذلك الإحتواء ولكنها لم تكن مراهقة مثلي.. لم تكن تحتاج لذلك الحضن المملوء بالدفء والعاطفة مثلي تحتاج لتلك النصيحة مني، لم تجرب أبداً أن تحذّرني من الرجال أو من رفيقات السوء أو ، ،

إحتجت ذلك الإحتواء أكثر منها بكثير ولكنها كانت أنانية في هذا حتى نست نفسها وتناست إبنتها الوحيدة وها قد خسرتها ولم تحاول كسبها مجدداً.. و بعد كلّ هذا تلقي اللوم عليّ !!

إبتسمت لوجه والدة بلقيس وجلست بجانب بلقيس.. كانت السفرة رغم هدوءها تعم بأسئلة كثيرة أغلبها عنّي.

تكلم أخ بلقيس ليكسر حاجز الهدوء المنافق " أتمنى إنك حظيت بنوم هنيء في منزلنا ولم تزعجك المثرثرة "

■ " من تنعت بالمثرثرة أيها الإتكائيّ ! "، أجابته بلقيس.

■ هه نعم حظيت بنوم عميق لم أتعمق بمثله منذ مدّة

وعم الهدوء مجددا حتى أكملنا الفطور ولمنا الصحون أنا وبلقيس وأخذناها للمطبخ لغسلها.. لم نكمل غسلها حتى سمعنا صراخ والدة بلقيس موبّخة إبنها على إحضاره لي وطلبت منه عدم تكرار هذه التفاهات فلو لم أكن صديقة لبلقيس ستكون خلفي قصة حقيقية وقد يظنون بي الشر ولكن ستر الله أنه منزل لصديقة لي.

أرادت بلقيس أن تواسيني بإبتسامة ونكات حتى أضحك ولكن لم يكن ببالي الضحك فلقد كنت أبحث عن حل لوضعي الحالي ولتوّي فقط أدركت ما الذي جرى بالإمس وكم عمق الغرق الذي أغوصه.. أحسست أن وجودي ليس مرغوبا فيه نتيجة لنظرات والدتهم لكنها حاولت جاهدة أن تخفي ذلك.. إعتذرت منهم ظهرا قبل وقت الغداء لأخبرهم أنني عائدة للمنزل وعرضو التوصيل ولكنني رفضت.. وددت السير وحيدة لعلّني في الطريق أجد الحل لضالّتي.

●●●

كنا في بداية فصل الشتاء وكان البرد قارس أيضا.. تجولت بين الأزقة السكنية مفكّرة إن كان خلف هذا السور أسرة سعيدة أم لا ؟!.. مهاجرة أم لازالت تنبض بالأمل لوطن نزيف.

سمعت صوت ضحكات لأطفال وراء سور من الأسوار فضحكت وكنت أطمح لأن أجري وألهو معهم.. دققت الباب وإنطلقت مسرعة لأختبئ وأرى ردّة فعلهم.. ركضو للباب ولم يجدوا أحدا فضحكوا وضحكت أيضا ولكن لوحدي.

تابعت السير حتى عدت للبيت.. دخلت أبحث عن والدتي

كنت سأطبّق ما فعلته بلقيس وإخوانها

" أمـي " نطقتها عليها مرارا وتكرارا وأنا أجوب البيت ولكنها لم تستجب.

دخلت لغرفتها كانت تصلّي.. أو ظننتها تصلّي.

إقتربت منها فوجدتها غارقة في النوم وعلى وجهها أثار التعب والإرهاق وإنتفاخ عينيها، هززت كتفها لإيقاظها فنهضت مسرعة تمسح عينيها بظهر كفّيها " نهلة.. أين كنتِ؟ "

كانت عيناها حمراوتان كأنهما يفيضان دماً وكانت أيضا مملوءة الدموع.. " بالجوار يا أمي "

أخذتني بين أحضانها وأنا في حيرة من أمرها " أنا أسفة لقد قلقت عليك لا أدري لما قسوت عليك كل هذه القسوة أنا أعتذر "

عادت حياتي كسابق عهدها تقريبا.. علاقتي بها تتحسن يوما بعد يوم، وعدت أيضا للجامعة

عادت حياتي مثلما كانت من بعد الطلاق ولكنها لم تتحسن.

عذرتني والـدتـي بعد مـدّة ومعاملة سيّئة.. أخبرتني أن الإنسان يخطئ وأن الله يسامح فمن هي كي لا تسامح فلذة كبدها وأيضـاً أخبرتني أن جدّتـي – والدتها – ربّتها على التسامح ولكنها لم تعتقد أن هذه القصّة حدثت لتثبيت قانون جدّتي.

●●●

بإمكاننا أحياناً أن نوعد بأننا لن نخطئ مجدّداً أو أننا

لن نكرر شيء قد سبق وفعلناه حتى وإن لم يصنف في قائمة الأخطاء. فقط نعد بأن لا نكرر الأشياء التي نأمر بها.. ولكن قد يخالف القدر الوعد.. كثيرا ما يخالفها القدر أكثر من مخالفتنا نحن للوعود. وعدت والدتي حقا بأن أعود نهلة وحقا رغبت في العودة فلطالما رافقتني الرغبة في حجز تذكرة في قطار نهلة القديم.. رغبة في صعوده وأنام به حتى توقظني ذكرى قديمة وتنبّهني أنها إشتاقت لي وأنني أخيرا عدت لأدراجي

بحجم رغبتي وصدق وعدي ومحاولتي للوفاء به.. كانت الطريق مسدودة وصعبة للوصول أعلم بدون محاولة أنني سأنهك وقد أفني عمري هباء وأنا أحاول العودة وسيخبرني الحارس أن التذاكر قد نفذت. فرق كبير بين نهلة تلك ونهلة أنا.. كانت بريئة حقا

لمَ قد تغير هذه الحياة فتاة مثلها.. ملاك مثلها بهلاك مثلي !! تحت أي ظروف وقعت حتى افعل ما فعلت. .أخذت ورقة أرتب بها خطوات العودة

أول خطوات العودة.. التوبة لله

دعوته مرارا وتكرارا بأن يغفر لي ولكن في كل مرة بعد الصلاة والدعاء وقراءة القرآن لا يرتاح ضميري بل يؤنبني ضميري أكثر فأكثر..

أشعر بالغباء لفعلتي.. كيف إقتنعت بها وطبّقتها ! كيف لم أثق بوعد الله لي ! وبإستجابته لدعائي.. فقط لم الإستعجال الذي كانت نتيجته ألم بين أضلعي وحيد يتيم كحالي !

ثاني الخطوات.. طلب السماح من كل الأقرباء والأصدقاء حتى لو لم أخطئ

ثالثها.. لا أعلم قد تكون محاولة التقرّب من ياسمين

ولكن كلّا، ياسمين إنتهت وأصبحت فتاة بعهد جديد سُمّيَ بجاسمن.. لا أثر لإبنتي في نفسها بالتأكيد.. أقسمت القلم لنصفين بعد محاولاتي الفاشلة للتفكير

أخذت هاتفي لأتصفّح قليلا مواقع التواصل الإجتماعي فأوت عقلي فكرة بأن أتفحّص الحساب الشخصي لأيمن وحقا فعلتها. .

أدخلت إسمه بمربع البحث الخاص بموقع الـ " فيسبوك " وظهرت صورته حاملا جاسمن بين يديه وهي تحاول جاهدة بأن تسرق نظّاراته الشمسية وتبتسم وهو يضحك بشدّة.

يبدو سعيد حقا.. تابعت أبحث بين الصور أي شيء لياسمين فلم أجد لها أثر.. وجدت جاسمن فتاة أمريكية بمظهر لا يمثّل عروبتها.. وجدت صورة عائلية لهم الثلاثة ولكن كان هناك فردا رابع جديد.. لكنه مجهول بعد. كانت زوجته الجديدة حامل.. كانت الصورة في مصيف أمريكيّ ما.. كانت جاسمن جالسة على أكتاف أيمن ويده تحيط بزوجته وطفله المترقّب.

خرجت من ألبوم الصور وتشجّعت لأرسل له رسالة

" أيمـــــــن.. أم عـــــزيــــزي أيمـــــــن ؟!

كنت يوما ما زوجي وحب المراهقة.. كنت لي وحدي، جمعتني بك ذكريات جميلة وحب صادق وياحسرتاه على ضياعه..

حقا أعتذر لك على كلّ حرج تسببته لك مع عائلتك وأيضا سمعة.. أعتذر لنفسي أيضا على ما فعلته"

لالا هذا غباء.. ما الذي أقوله؟ إمسحي هذه الترهات

ألقيت هاتفي وخلدت للنوم حتى لا أرهق تفكيري بصورة " الشاطئ "

●●●

حقا أكره تلك اللحظات التي تحاصرني بها أفكاري وحيدة.. مضت ساعات المحاضرة الطوال بدون أن أنتبه لتفكيري..

كنت وحيدة ونادمة حقّا. كنت أتجول في القاعات الفارغة أركض تارة إن كنت وحدي أو أكتفي بالإبتسام إن كان هناك مارّة.

بطريقي للعودة هاتفتني بلقيس سألت عن حالي وأحوالي ثم دخلت في الموضوع. .

- نهلة.. مصطفى – أخاها – أعجب بكِ حقّا و..
- بلقيس تغاضي عن الموضوع فالحب لن يحتلني مجدداً
- فقط إسمعيني أخي إنسان جيّد والخيار بيدك إن فقط أردتي الزواج سريعا أم فترة صداقة لمعرفته
- حسنا ولكنني أخبرتك أن حبا لن يغرقني مجدداً

أغلقت الخط وكانت فرحة.. أيعلم أخاها أنني مطلقة ! أيعلم بقصّتي ! لا أدري ولا أُبالي.

بدأ حديثي مع مصطفى يزداد يوما بعد يوم كان لا بأس به ولكن معه أحسست أن القصة تتكرر

■ نهلة أنا حقا أحببتك لا أعلم لماذا وكيف ولكنك سحرتني حقا وأنا الذي لا يفقه لحب الفتيات شي

■ مصطفى كم لنا ونحن على هذا المنوال ؟

■ ما يقارب الشهرين.. لماذا ؟!

■ حقا مدّة طويلة.. أأخبرتك بلقيس أنني مطلّقة ؟

■ أجل

■ وهل تعلم لمَ ؟

■ لا يهمني ولكنني متأكد أنه أعمى البصيرة

حقا كنت أرغب في أن أخبره الحقيقة.. كنت بحاجة للإفشاء لأيٍّ كان سواء غريب أم قريب وهو بين الغريب والقريب.. فقط الآن أعذر أيمن على إفشاءه للسر.

■ مصطفى هناك شيء أود أن أخبرك به

■ ماذا هنالك ؟

■ ليس على الهاتف

■ حسنا حدّدي المكان والزمان

●●●

كانت أقدامي تتحرك للأمام وللخلف. في هذه اللحظة الوشيكة سأتجرد من الثوب الذي أرتديه أمامه ليعلم بقصتي، ولكن لا زال بإستطاعتي أن أقاوم أليس كذلك ؟

■ نهلة ماذا هنالك؟ لا تبدين بمظهر جيد..!

إلتفت إليه بأعين غارقة بالدموع ولكنني تمكّنت من مقاومتها وأطلت أيضا النظر للأعلى حتى لا تسقط لا أدري

إن كانت طريقة نافعة ولكن حينها كانت خارقة. .

■ لا شيء

■ لا أصدقك ولكن ما يهمني الآن أن تخبريني عن ماذا تحدّثتي على الهاتف

■ مصطفى أنا.. أنا حقا لستُ بملاك

■ وأنا أيضا لست ملاك

■ مصطفى لا تصعب الأمر أكثر أرجوك

■ نهلة أخبريني الآن ماذا هنالك ويكفيك إخفاء

■ أحمل قصة.. خلف وجهي قصة لا يحسد عليها

■ حسنا.. أذاني صاغية تابعي

أخبـرتـه بـكل شـيء وتجـنّـبـت الـرؤيـة لـوجـهـه مـبـاشـرة.. لا أدري أي جرأة دفعتني للإفصاح بقصة نهاد وأيمن وخديجة وطلاقي وياسمين وسونيا، أخبرته بكل شيء عن نهلة.. عن نهلة الحقيقية !

■ أتعتقدين أنني الآن سأنسحب !

نظرت لوجهه لا أدرك ما الذي قاله للتو " أوَيرضيك أن ترافق فتاة مثلي "

■ لا، لا يرضيني أن أرافق فتاة مثلك حقا

إبتسمت بقهر علمت أنه سيقولها ولكنه تابع

■ "ما يرضيني حقا أن أطلب يدك بالحلال.. ظننتي فعلا قد أتخلي عنك بسبب ماضي لازال يحفر في قلبك الألم وأيضا أجعل حاضرك كذلك؟ نهلة لا تعتقدي أنني هذا النوع

من الرجال، وأيضا لأيمن هذا إن كان حقا يحبك لكان واجه لأجلكِ أي شـيء ولا يقع من أول صفعة متخلي عن حبيبته ويسلبها حياتها.. أخطأتي أنتِ حقّا ولكنه أيضا كان شريك في الجريمة، بإمكاني الجـزم أنـه أنـتِ من طبّقت بدايةً وهو أكمل حتى النهاية.. بداخلك كان هناك رفض وفعلتي فقط هذا للحصول على حب ظننتي أنه سيفارقك.. أما أيمن أنا متأكد أنه كان مجرّد من هذا الإحساس تماماً.. كلنا نخطئ ولسنا معصومين على الخطأ

■ أحقا كلامك ينبع من جوفك ؟

■ أجل وأنا على أتم إستعداد لأتقدم خطوة في هذه العلاقة

■ لا أدري.. يكفي نقاش لليوم أريد العودة

●●●

حقيقةً لا أصدق كلام مصطفى.. كلام كثير وغير عقلاني وعليّ أن أتّخذ قرار حاسم إتجاهه

ولكن لحظة.. كان يذم تصرّف أيمن ماذا لو كان هو مكان أيمن أكان حقا سيتقدم لخطبتي ؟؟ لا أعتقد، ولكنه قال أنه مستعد.. حقا لا أدري، تجاوزيه يا نهلة

كنت مشوّشة الفكر وكنت أيضا أشتاق لأيمن كثيرا وفكّرت بأن أتصل به حقا وأطلب مهاتفة ياسمين، أحسّت والدتي أيضا بتشويشي حاولت فقط الآن أن تهوّن عليّ ما يجري حاولت أن تفاتحني بالموضوع " نهلة أهناك شيء تودين إطلاعي عليه؟ "

■ لا أدري فأنا مشوّشة الآن

■ أتفتقدينه ؟!

■ أفتقد ياسمين أكثر

■ أتودين رفع دعوة قضائية ؟

■ ماذا؟ أيمكنني حقا !

■ أجل فلقد أخذها منك بالغصب

■ لا. لا أريد فلن أضمن لها العيش الزهيد مثل أبيها

■ بإمكانك فقط المطالبة برؤيتها كلّ عام.. فأنتِ أيضاً لكِ فيها حق

■ لا أعلم.. من الأفضل أن لا تعلم بوجودي

■ حقّاً لم أعد أفهمك

■ وأنا أيضاً لم أعد أفهمني أمي

●●●

" أجل أدعوك " قالها مصطفى و إبتسم، كان يدعوني لجولة خاصة – بنا – وحدنا لـ12 ساعة من 10 صباحاً حتى 10 ليلاً

■ ولكن ما الذي عساي فعله مع والدتي ؟

■ لا أدري تصرّفِ.. فليكن همك فقط إقناعها

■ حسناً. .

لا أدري كيف سأقنعها.. قد أخبرها أنني سأذهب للمكتبة بعد عودتي من الجامعة وأنني أيضا سأتأخر في الجامعة وقد أتعلّل بزحمة السير والطرق.. سأجد سبب يقنعها بالتأكيد.

فكّرت كثيراً بكلّ الطرق ولكنني ثبت على قراريَ الأول، تشجّعت وخاطبتها عندما كانت تشاهد برنامج الطبخ المفضّل

لها على التلفاز " أمّـي " ندهتها ،

■ أنا هنا، بغرفتي

■ وجدتك.. أيمكنني إخبارك بشيء للحظة

■ أسرعي الآن دعايات.

■ سأتأخر غداً بالجامعة وسأذهب بعد الجامعة للمكتبة فلا تقلقي عليّ

■ سنتناقش لاحقاً

■ لا..الآن وأنا فقط أطلعك على مساريَ غداً

■ حسنا حسنا إذهبي الآن

هـذه خطوة وقـد إنتهت الآن علـيّ إخبـار مصطفى حتّى يستعد.. يا ترى ما الذي سيجري غداً، لا أعترض على أنني كرهته حين عاب على أيمن فلازلت أحبّه ولكن الآن علي أن أقتنع بما لديّ.

سـار يومي بهـدوء قاتل ولـم يطلّ النعاس على عينيّ إلا بعد مشقّة من التقلب على جنبي الأيمن تارة والأيسر تارة.. حـاولـت أن أشـغل فكري بشـيء أخـر غير مخططي غدا مع مصطفى

●●●

في الصباح التالي راودتني بعض الأفكار الغبية وبعض منها كان نتيجة لكلام مصطفى.. لازلت مقتنعة أن مصطفى ظلم أيمن بالكلام الذي ألقاه عنه.

ولكن في كلامه تخفيف عنّي أيضا فقد برهن أنه ليس ذنبي

أنا فقط.. قاطعني إتصال مصطفى معلناً وصوله، أحسست أن الزمن يعاد وكأنه فيلم ما وبالسيناريو أنا صامّة.

ذهبنا للسينما، أخبرني أننا سندخل لفيلم رعب.. كنت أعلم مخططه ولكنني تمالكت نفسي جيدا بقاعة العرض حتى لا أرهب وأقترب منه. في كل لحظة مرعبة أذكّر نفسي أنه فيلم وأنها ممثلة بارعة ولكنها ليست أبرع مني في مقاومة الفزع وحراسة نفسي منه حتى لا يسري الرعب في جسدي.. لن أستسلم أبدا.

خرجنا من دار السينما كان مصدوم وكنت منتصرة.. أخذني بعدها في جولة في حديقة عامّة رَأى طفلين صغيرين ممسكين بأيدي بعض ويلعبون، ضحك فسألته " وما خطبك؟ "

- لا شيء، فقط يجرون بشكل غبي
- تركنا لك الذكاء

حاول أن يمسك يدي فأبعدت أنا الأخرى يدي.. أظن أنني أحرجته ولكنه يستحق.. كان يبحث عن نقطة ضعفي ليقترب منها، فلم يعد أمامه إلا خياراً واحد وهو الخيار المتاح لدى الكثير من الفتيات.

بعضهن أتاحوه لأنه فعلا خيارهن ولكن البعض الآخر فقط أتاحوه لأنه ذا مظهرٍ جميل. الكثير من الفتيات الآن يتيحونه ولكن القليل من يقدرونه. أعلمتم ما هو. !.

أخذني لمكتبة كبيرة في ناصية شارع مشهور ومزدحم، ظنّ أن الكتب نقطة ضعفي، فعلا كنت ضعيفة أمام الكتب ورائحة

ورقها عامة والعتيقة خاصة ولكن الآن بعد أن تم تشوّيه الكتب بأيدي الجهلاء فكريا ومن يدّعون أنهن يفقهن السطور لم أعد مهتمة، ولكنني إغتنمت الفرصة وأخذت كتابين لِـ الكاتب العالمي " باولو كويلو " ، إخترت رواية الجبل الخامس والزّانية.

عند – الكاشير– سألني مصطفى لِمَ إخترت " الزانية "، تجاهلت الإجابة ولكنه لم يتجاهل السؤال وطرحه مجددا " لِمَ الزانية؟ إسمها غريب "

■ لا أدري ولكنها بالتأكيد رائعة.. فأنا أثق بباولو

وعندما صعدنا للسيارة لم يلبث حتّى إستطرد " فَرِحَة ! "

■ وما المفرح ؟

■ كتبك الجديدة.. إستغربت خيارك صراحةً

■ ولما ؟

■ الزانية ! ما أقصده أن معظم الفتيات يخترن أسماء جميلة مبهجة وروايات غرام ذات رسوم وردية ولكن إسم رهيب كهذا ! فيما كان يفكّر ؟

■ قلتها، معظم الفتيات عليك أن تعلم أنني لست مختلفة ولكن لا أشبههُنّ

لم يسد الصمت حتى إستعجبت من الطريق التي عبَرَها، قال إنه أخذني لأحب مكان على قلبي والآن سيأخذني لأحبّ مكان على قلبه " منزله ".

■ أأُخبرك شيء..

■ نعم ؟

■ أحب هـذا المكان كحبّي لـك، منزلي الـذي لا يـزال قيد البناء حقيقة أعتز بـه.. ألامـس كل طوبة وأختـارهـا بعناية لأنني أريدها أن تكون وفيّة وتشاركني أسـراري بعد سنين، أجد نفسي في هذا المكان لا أدري إذ بعد سنين سأتهرب منه ولكن الآن هو ملاذي الوحيد وأعتقد أنه سيبقى كذلك.

■ هذا جيّد

■ عندما أتوتر وأرتبك في قرارات حياتي المصيرية، أعود لهذه الأرض أشتم ترابها وطوبها وحشائشها الضارّة.. وعند ضيقتي أو يأسي أيضا آتي هنا لأتذكر هدفي مجدّداً

■ وما هو هدفك ؟!

■ أنتِ يا نهلة

إقترب بعد جملته مني وقبّلني على جبيني وأكمل حديثه " قد لا تدركين مقدار حبّي لك وقد تظنّينه أيضا مزيّف لأنني حقا لا أعرفك منذ زمـن، لكنني حقا أعلم تقلّبات مزاجك وأيضا أقرأ عيناك "

■ وما بِعيناي الآن ؟!

■ حزن غريب وأيضا ألم

■ لالا بالتأكيد أنت مخطئ

■ لا يهم، ما يهم هو أنني معك

لا أدري كيف حدث الذي حدث.. ولكنه خدعني وإستجبت بإرادتي، لا أدري إن كان قد لامس الوتر الحساس لديّ أم

أنني فعلا إحتجت لأن أشعر بأنني أنثى مجدداً، أود أن أشعر أن هناك من يحتاجني مجدداً أنني قيّمة لدى شخص ما، أيّاً كان هذا الشخص وإن كان عابر سبيل.

●●●

لم يختفي مصطفى من حياتي ولكن أنا من قررت الإختفاء.. أعلم أنني أخطأت بما فيه الكفاية ولكني قطعت وعدا لنفسي بأنني سأعيش بالحالة التي وصلت لها الآن، لن أدخل في حياتي أي عنصر جديد وسأكتفي بإبعاد المتاحين حاليا.

لن يكف عن الإتصال أبداً حتّى أجيبه، وإن أجبته ماذا سأخبره؟ أنني لا أريده في حياتي بعد الآن؟ ولكنه سيخبرني أنني أحبه وإلا ما فعلت ما فعلت، سأجيبه أنني أخطأت وجلّ من لا يُخطئ.. سأتمتّع بالشجاعة الكافية لإبعاده.

■ أهلا مصطفى. .

■ نهلة، أأنتِ بخير؟ ما بكِ لا تُجيبينني ؟

■ لا شيء

■ إشتقتك فعلا

صمتت لثواني ثم تابع هو قائل " نهلة ما الخطب؟ "

■ لا شيء، أريد أن أتحدّث معك في موضوع مهم

■ حسنا، تريدي أن نلتقي في مكان ما؟ عام !

■ لا لا.. الهاتف كفيل

■ أأنتِ منزعجة؟ من الذي جرى ؟

■ لالا أبداً ولكن..

■ لكنك تشعرين بالذنب.. سأصلّح غلطتي وآتي لخطبتك فقط وافقي

■ مصطفى.. يكفي لهُنا أنا لا أحبك حسنا، ولا أريد أن يتطور أي شيء بيننا بعد الآن ولا أريد الزواج من أحد، لا أريد أن أحرجك أو أحرج نفسي شقيقتك كانت يوماً صديقتي وبالتأكيد لن ترضى لك فتاة مثلي وكذلك والدتك لا تعلم بزواجي السابق ولكن في ليلة الزفاف ستطالب بشهادة العفّة في حالة لم تخبرها ولكن إن أخبرتها لن ترضى لك هي أيضا فتاة مطلقة بطفلة

■ لكنك مطلقة فقط، وهذه قراراتي وأنا سأتزوجك وليست والدتي.. وبإمكانني إسكات بلقيس وأنا مستعد كامل الإستعداد أن أتكفل بأي نفقات لأي عملية ليعود لك ما ذهب رغماً من أنّي لست سالبه

■ أرأيت؟ هذا ما قصدته.. لن تنسى أبدا وأنت لن ترضاها في حقّ نفسك، عُد لواقعك مصطفى

وأقفلت الخط بوجهه، لكنّه لم يتوقف و لم يعرف لليأس طريق..

مرّت أسابيع وإبتدأت إمتحاناتي ومازال مصطفى يحاول الوصول إليّ بأي طريقة حاول مراراً أن يوقفني بالجامعة لنتحدث ولكنني شكوته أكثر من مرّة للأمن بحجّة أنه يتبعني ويزعجني، لن أُحنّن تصرفاتي معه عليه أن يعلم أنني سيّئة كفاية.

●●●

إستيقظت ليلتها من كابوس.. كنت في السجن خلف القضبان وحشود تقف أمامي تتكلم بحروفٍ منخفضة لا أسمع شيئا منها، إستنجدتهم أن يخرجوني ولكنهم لم يتوقّفوا وظلّو يهفتون بشتائم لم أفهمها في صحوتي ولكن بالكابوس فهمتها..

إستيقظت وأنا أتصبب عرقاً وأبكي، إنطلقت مسرعة للحمام لأستفرغ ما في جوفي وغسلت وجهي ورقبتي.. وعندما رفعت رأسي لأرى المعالم التي تكسو وجهي صُدمت.

كنت مصفرّة وعيناي تكسوهما حمرة وبؤبؤ عيني متّسع. كدت لا أعرفني أكل هذا بسبب الكابوس ، ،

لم يستقر النوم بين أجفاني مجددًا، تقلّبت على جنبيّ ولم أجد للإغفاء طريق فقررت أن أبدأ يومي وأن أتخلّص من أثار الكابوس.. أعددت إفطاراً شهيّ ليقوّيني وأخذت أوراقي وجهزّت نفسي للإمتحان وإنطلقت.. وعند توزيع أوراق الإمتحان إبتسمت المُعيدة وقالت " متزوّجة؟ "

أجبتها بالنفي فتابعت " إذا مريضة؟ " أجبتها بالنفي مجددا فتابعت " لا تبدين على ما يرام وكأنك. .. لا عليك " أقلقتني بصمتها ولكنني إكتفيت بالإبتسام.. حاولت أن لا أشتت ذهني وأنتبه للأسئلة ولكن وكأن الحروف نطقت وتحرّكت لا أعلم كيف ولكن غلبني الشك فسلّمت ورقة أجوبتي وخرجت من القاعة لأقرب صيدلية وإشتريت جهاز الكشف ودخلت لأول مطعم واجهني وطلبت وجبة حتى لا يمنعوني من إستعمال الحمام ولكن لم ألبث دقائق حتى بدأت الأيدي تطرق الباب "

دقيقة واحدة " جلست أنتظر بتوتر حتى تظهر النتيجة، ظهر خطّان على هذا الجهاز الصغير ففرحت إعتقدت أن معناهما النفي فأخذت غلافه لأقرأه فوجدت أن في حالة ظهور خطّان فهذا يعني الحمل. .

خرجت مسرعة وأنا أبكي أوقفني العامل لأجلس وآخذ الأكل، أخرجت محفظتي من حقيبتي وأخرجت ورقتان نقديتان ووضعتهما بجيبه وخرجت..

مرّ الشريط بأكمله أمام عينيّ، لما يجري معي كلّ هذا.. ياربّي ماذا عساي أن أفعل ؟

أأتصل بمصطفى وأخبره، أم بدون أي تفكير أجهضه ! ألا يكفيني ذنوب حتى أقتل نفس لا ذنب لها.. لعلّ هذا الجنين جاء ليذكّرني بما فعلت وليزيد الوثاق بيني وبين مصطفى، لكنني لا أريده لا أعلم أين أذهب أو لمن ألجأ ، ، سأذهب لخالتي لعلّها تنقذني ولكني تذكّرت آخر لقاء.

عدت للمنزل مهزومة وبيدي هذا الجهاز الصغير جهاز كشف المأساة بالنسبة لي وبالنسبة لأخريات جهاز كشف الفرح، أوشكت أن أطرق الباب فتذكّرته فرميته بسلة القمامة وطرقت الباب ففتحت والدتي الباب مبتسمة سائلة " كيف إمتحانك؟ "

- ■ هِهه جيد، بل جيّد جدًّا
- ■ نهلة أهناك خطب ما؟
- ■ لا لا أبدا.. فقط أريد أن أنام

صعدت لغرفتي وحاولت الإتّصال بمصطفى ولكن هاتفه

مقفل فتجرّأت وإتّصلت ببلقيس أجابت بعد المرّة الخامسة تقريبا "أهلا من معي؟"

■ أهلا بلقيس أنا نهلة ، ، أأنتِ مشغولة ؟

■ حقّا كيف حالك نهلة؟ في وقتك أيمكنك الحضور لمنزلي!

■ لماذا؟ وما هذه الضّجة ؟!

■ أخي مصطفى سيتزوّج

سأصدّق من كان إن أخبرني أن قلبه توقّف، فقلبي توقّف في هذه اللحظة، لن أخبرها إذاً ولن أخبر مصطفى سأفكر في حلّ أخر " نهلة أين أنتِ؟ "

■ أجل، أجل بالطبع سآتي إلى اللقاء

أجهشت بالبكاء، سأواجه ما واجهته سابقاً مع والدتي وقد يزداد الوضع سوءاً عمّا سبق، ولن أسلم بكل تأكيد من كلام الناس هذه المرّة.. كم مرّة ستقابلهم حالة كحالتي ! ألن تتوبي يا نهلة؟

●●●

بدأ السر بالإنكشاف لوالدتي فأوقفتني بنظرة كلّها إشمئزاز وسألت " مجددا نهلة؟ "

■ مجددا ماذا أمي ؟

■ الخطأ نفسه مجددا ؟!

■ عن ماذا تتحدثين !

■ لن يفيدك الإنكار بشيء نهلة أنا لست غبية.. إبن من هذه المرّة؟ ومتى حدث !

■ أمي. .

صرخت بوجهي "نهلة لماذا تفعلين هذا بنفسك؟"

بكيت، لم أعد أحتمل حقّاً أن أتكبّد العناء لوحدي أعلم أنه خطئي لوحدي ولكن لن أتحمله

■ أمي أنا أسفة أنا

■ هذا يكفي.. أخرجي فورا من منزلي.. هذا منزل أجدادك نهلة أتفهمين؟ هذا المنزل لم ولن يربّي أبناء الحرام يوماً

■ ولكن أنا إبنتك

■ إبنتي أخذت عزاها ، ، توفّت مع والدها منذ زمن.

نظرت لها بعيون دامعة تكاد تنفجر معلنة إنهزامها وإستعدادها لفعل أي شيء "أمي أين سأذهب؟"

■ لأبيه، إن كان على وصال معك أساسا.. ليست مشكلتي أخرجي الآن تثاقلت خطواتي وأنا أعبر الممر لأصل للباب وأخرج فكّرت كثيرا لمن سأذهب ولمن سألجأ ومن سيستقبلني، توجّهت لمنزل بلقيس بعد أن أخذت منها العنوان. .

وقفت أمام الباب أتذكر سبب حضوري الأول يكاد يشبه هذا، إتصلت بها لأخبرها أنني بالخارج فخرجت لتستقبلني وأدخلتني.. كانت تتكلم كثيرا لكنني لم أفقه إلا القليل

■ بلقيس، كيف مصطفى وزواجه؟ أهي جميلة ؟

■ نهلة لا تبدين على ما يرام

■ لا لا أنا جيّدة

■ أخبرني مصطفى بكلّ شيء

نظرت لها فتابعت " كان حقًّا يحبك يا نهلة، لكنني لن أعاتبك عن المعاناة التي واجهها شقيقي لوحده.. تزوّج من نهال بعد ألف وألف محاولة منّي لإقناعه بأن يتابع حياته"

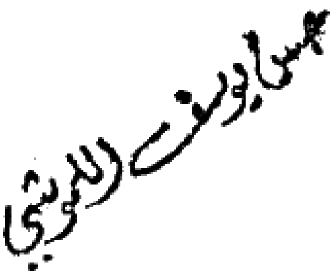
■ أأخبرك عن. .

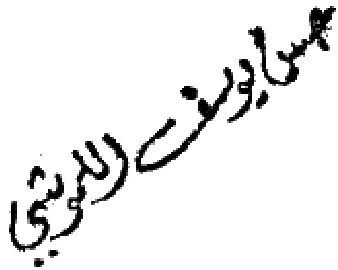
■ أجل

فجأة تدخّل مصطفى.. سمعت صوته ففرحت بلقيس وقالت أنه مصطفى ستخبره بوجودي، لكنني خرجت خلسة لأهرب.. لن أواجهه ولن أقدر أبدا على مواجهته.

●●●

تمّت وبحمد الله





سماح يوسف الكويتي

■ يكفيك كلام.. استعدّي للمدرسة نهضت من الفراش بحركات متزعزعة.. بالكاد استطعت الحركة من الصداع الحاد الذي يواجهني منذ الليلة الماضية بسبب البكاء.

ذهبت للمدرسة جسد بلا روح.. وكأن روحي لم تنتقل مع جسدي، خرجت من غرفتي بدونها، شردت كثيرا يومها،، اخذني التفكير بعيدا جدا عن الحصص.. أحداث الليلة الماضية كانت بالنسبة لي فاجعة.. لم يكن لي ذنب لا أعلم حتى لماذا تخلوا عني، رفيقات دربي لأكثر من 8 سنوات.. يا رب!

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE